الفصل الرَّابع: آثار تطوُّر علم الطِّبّ في محاور الطِّبّ النَّبويّ

إنَّ الطِّبّ الحديث تطوَّر وما زال يتطوَّر بمرور العُصُور منسجمًا مع التَّقدم والتَّسابق في تطوُّر العُلُوم والتكنولوجيا، وهذا هو الأمر العادي الذي يحدث في أي علم من العُلُوم التَّجريبية الأخرى أيضًا. وعلى سبيل المثال، ظنَّ أهل العلم قديمًا بعد اكتشاف النُّطف المذكرة عام ١٥٩٠م، أنها عبارة عن إنسان صغير يتخلَّق ويتطوَّر في بطون الأمهات، حتى يصبح جنينًا وإنسانًا، ولكن بعد أن اكتشفت البييضة المؤنَّثة عام ١٨٢٧م، أبصر أهل العلم في ذاك العصر أنَّ نشوء الجنين يكون باندماج نطفة الرجل والبيضة[٤٧٦]، وبعد ذلك استمرت المكتشفات المختلفة لغرض إبراز ما وراء أطوار تخلُّق الجنين في بطون الأمهات، وهي كما نصَّ الدّكتور النَّسيمي في كتابه تعدُّ من أبحاث القرن العشرين[٤٧٧]. ومن الأمثلة الأخرى، من الأيديولوجيات التَّقليديَّة القديمة أنَّ الأم تحمل، وهي من تحدِّد جنس الجنين الذي في بطنها، ولكن بالتطوُّر الذي يستمر ويرتقي، أثبت الطِّبّ المعاصر أنَّ نطفة الأب هي التي تحدد جنس الجنين، لأنها تحمل صبغيتي X أو Y التي تُعرف بالصبغيَّة الجنسيَّة، وإذا كانت حاملةً للصبغيَّة X، فالجنين سيكون أنثى، وإن كانت حاملةً للصبغيَّة Y، فالجنين سيكون ذكرًا بإذن الله تعالى، وهي قاعدَّة معروفة في علم الوراثة المعاصر[٤٧٨].

---

[٤٧٦] انظر: الكيلاني. ١٩٦٦. *الحقائق الطِّبِّيَّة في الإسلام*. ص٣١، وانظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٣٢٦.

[٤٧٧] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٣٢٦.

[٤٧٨] انظر: كي شيتي، نيرمالجندرا. ٢٠١٨. " Inheritance of Chromosomes, Sex Determination, and the Human Genome: A New Paradigm". *SAGE Journals*. ج. ٢. عدد (١): يناير. ص. ١٦.

إذا تتبّعنا المؤلَّفات المختلفة في علم الحديث، وجدنا أنَّ المحدثين ممن تأثروا بتطوُّر علم الطِّبّ المستمر من زمان إلى آخر، حيث يظهر في مؤلفات جلِّهم استعانتهم بأقوال الأطبَّاء في شرح الأحاديث، خاصَّة في تناولهم الأحاديث التي سمّيناها بأحاديث الطِّبّ النَّبويّ. وحسب اطلاع الباحث المتواضع، يرى الباحث أنَّ أول من استدلَّ بأقوال الأطبَّاء في التَّعامُل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ هو الإمام أبو محمَّد ابن قتيبة الدّينوري (ت٢٧٦هـ)، إذ يبدو استدلالهم بها بغرض **الردِّ على من أنكر ما قاله الرَّسُول ﷺ في أحاديثه**[٤٧٩]، ومن أمثلة ذلك ردُّ ابن قتيبة على منكري حديث الذُّباب المعروف مستدلًا بأقوال الأطبَّاء في قوله: "وهل الذُّباب في ذلك إلا بمنزلة الحيَّة؟ فإنَّ الأطبَّاء يذكرون أنَّ لحمها شفاء من سمها، إذا عمل منه الترياق الأكبر، ونافع من لدغ العقارب وعضِّ الكلاب الكَلِبَة، والحُمَّى الربع، والفالج واللقوة، والارتعاش والصَّرع"، وقال أيضًا: "والأطبَّاء القدماء، يزعمون أنَّ الذُّباب إذا ألقي في الإثمد، وسحق معه، ثم اكتحل به زاد ذلك في نور البصر، وشد مراكز الشَّعر من الأجفان، في حافات الجفون"[٤٨٠].

ثم استمر الاستدلال بأقوال الأطبَّاء خاصَّة في شرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، وقد استعملها العلماء لغرض آخر غير الرَّد على منكري السُّنَّة، مثل **توضيح معاني الحديث**، كما فعل الخطَّابي (ت٣٨٨هـ) الذي استدل بأقوال الأطبَّاء في توضيح معنى "الدَّواء الخبيث" المذكور في حديث رواه أبو

[٤٧٩] انظر: إسماعيل، محمَّد يوسف. ٢٠١٦. *التَّفسير العلمي للأحاديث النبويَّة: دراسة تأصيلية نقديَّة*. عَمان: الجامعة الأردنيَّة. ص. ٢٢.

[٤٨٠] الدِّينوري، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة. ١٩٩٩. *تأويل مختلف الحديث*. ط. ٢. بيروت: المكتب الإسلامي. ص. ٣٣٥، ٣٣٦.

هريرة أنه قال: "نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الدَّوَاءِ الْخَبِيثِ"[٤٨١]. قال الخطابي تعليقًا على الحديث: "الدَّواء الخبيث قد يكون خبثه من وجهين، أحدهما، خبث النَّجاسة، وهو أن يدخله المحرَّم، كالخمر، ونحوها، من لحوم الحيوان غير مأكولة اللحم، وقد يصف الأطبَّاء بعض الأبوال، وعذرة بعض الحيوان لبعض العلل، وهي كلها خبيثة نجسة، وتناولها محرَّم، إلاّ ما خصته السُّنَّة من أبوال الإبل ..."[٤٨٢]. والذي يراه الباحث أنَّ استدلال العلماء بأقوال الأطبَّاء في شرحهم لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ بصرف النَّظر عن غرضهم، يدلُّ على اعترافهم بأهميَّة الرَّبط بين الطِّبّ النَّبويّ، والطِّبّ الحديث، بل إنَّ شرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ في ضوء علم الطِّبّ الحديث يعدُّ من الأمور التي تعارف عليها العلماء من المحدثين.

وبالإضافة إلى ذلك، من الجدير بالذكر أنَّ العلماء في عصور مختلفة اكتفوا بما وصلوا إليهم من العُلُوم الطِّبيَّة في عصورهم لشرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، والأمثلة في ذلك كثيرة، وسيفصّلها الباحث في المباحث اللاحقة. وبالتالي، فإنَّ اكتفاء العلماء بما توصلوا إليه من العُلُوم الطِّبيَّة في عصرهم سيجر بلا شكٍّ إلى الاختلاف في كيفيَّة شرحهم لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ في كتبهم، لاختلاف كسبهم، لأنَّ عصورهم مختلفة، وكل عصر شهد بالارتقاء في تطوُّر علم الطِّبّ الحديث، ولذلك يمكن القول أن تطوُّر علم الطِّبّ الحديث له تأثير كبير في طرق تعامل العلماء مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ. وسيقسّم الباحث هذا الفصل إلى خمسة مباحث، وهي الآثار في محور الطِّبّ الوقائي، والآثار في محور الطِّبّ العلاجي،

---

[٤٨١] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند المكثرين من الصَّحابة. مسند أبي هريرة رضي الله عنه. ج. ١٣: ٤١٦. رقم الحديث ٨٠٤٨. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه". انظر: الحاكم. ١٩٩٠. *المستدرك على الصحيحين*. ج. ٤: ٤٥٥. رقم الحديث: ٨٢٦٠. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيقه لمسند أحمد: إسناده حسن.

[٤٨٢] الخطابي، حمد بن محمَّد. ١٩٣٢. *معالم السُّنَن*. حلب: المطبعة العلميَّة. ج. ٤. ص. ٢٢١.

والآثار في محور الطِّبّ النَّبويّ النَّفسي الرُّوحي، والآثار في محور أخلاقيَّات الطِّبّ، والآثار في محور قضايا معيَّنة ذات العلاقة بالطِّبّ.

المبحث الأوَّل: الآثار في محور الطِّبّ الوقائي

وقد تقدَّم الحديث عن محاور الطِّبّ النَّبويّ في الفصل الثَّالث من البحث، والطِّبّ النَّبويّ الوقائي يُعدُّ من المحاور التي استوعبها الطِّبّ النَّبويّ، وهو يتناول كلَّ طريقة أو وسيلة مناسبة لحفظ صحَّة الإنسان، وتقويتها، ووقاية الإنسان من أي مرض قبل إصابته. وإنَّ هذا المحور كما مرَّ من قبل، يُعدُّ أوسع محاور الطِّبِّ النَّبويّ، وهو مهم جدًا لحياة الإنسان، لأنَّ درهم وقاية خير من قنطار علاج، كما قال العرب.

ويهدف هذا المبحث إلى توضيح آثار تطوُّر علم الطِّبّ الحديث على طرق تعامل العلماء مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ الوقائي، وإبرازها من خلال الإتيان بأمثلة واقعة في كتابي الطِّبّ النَّبويّ لابن قيِّم الجوزيَّة، والطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث للدكتور النَّسيمي، وسوف ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين، هما:

١. آثار تطوُّر علم الطِّبّ في توصيف الوسائل الوقائيَّة.

٢. آثار تطوُّر علم الطِّبّ في بيان أسباب حدوث مرض معيَّن.

المطلب الأوَّل: آثار تطوُّر علم الطِّبّ في توصيف الوسائل الوقائيَّة

وقد تقدَّم الحديث عن بعض الأمثلة المتعلِّقة بالوسائل الوقائيَّة الواردة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ في مبحث محاور الطِّبّ النَّبويّ السَّابق، وإنَّ هذه الوسائل هي التي حثَّ الإسلام على الاهتمام بها لوقاية الإنسان من الأمراض، ولحفظ صحتهم، وتقويتها، لأنَّ القوَّة والعافية مهمتان جدًا، فبهما يستطيع المسلمون القيام

بمهماتهم ومسئولياتهم الدِّينيَّة، أو الدنيويَّة، ولذلك قال الرَّسُول ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ..."[٤٨٣]، وقال ﷺ أيضًا: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"[٤٨٤].

وبالإضافة إلى ذلك، يمكننا أن نعرّف هذه الوسائل الوقائيَّة بمجموعة من التَّعاليم والإرشادات النبويَّة لوقاية الإنسان من الأمراض، قبل وقوعها، ومنع انتشار العدوى إذا حدثت، لإطالة عمر الإنسان بتحسين ظروف معيشته، وهي تهدف إلى الحفاظ على أحسن الحالات الصِّحيَّة لدى الفرد، أو المجتمع[٤٨٥]. وعلاوة على ذلك، فإنَّ هذا الشق تناوله العلماء البارزين من زمان إلى آخر، مع الاهتمام البالغ عند المعاصرين منهم، وإن هؤلاء العلماء لم يكتفوا بما قاله الرَّسُول ﷺ عن هذه الوسائل فحسب، بل دعموها ببيانات طبيَّة سائدة في عصرهم، ولذلك قد تختلف هذه البيانات باختلاف عصرهم، لاختلاف ما حققته العُلُوم الطِّبيَّة في العُصُور المختلفة.

وبالتالي، سوف يبرز الباحث مدى تأثير هذا التطوُّر الطِّبّي الحديث على توصيف العلماء للوسائل الوقائيَّة الموجودة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، بإتيان الأمثلة الواقعة في كتابي ابن قيِّم الجوزيَّة، والدّكتور النَّسيمي، وبعض أمثلتها كالآتي:

---

[٤٨٣] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب القدر. باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله. ج. ٤: ٢٠٥٢. رقم الحديث ٢٦٦٤. ابن ماجه. ٢٠٠٩. *سنن ابن ماجه*. باب في القدر. ج. ١: ٥٧، ٥٨. رقم الحديث ٧٩. ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند المكثرين من الصَّحابة. مسند أبي هريرة رضي الله عنه. ج. ١٤: ٣٩٥. رقم الحديث ٨٧٩١.

[٤٨٤] التِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. كتاب الزهد. ج. ٤: ٥٧٤. رقم الحديث ٢٣٤٦. قال التِّرمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية.

[٤٨٥] انظر: الفنجري. ١٩٩١. *الطِّبّ الوقائي في الإسلام*. ص. ١١.

١. توصيف حكمة نهي الرَّسُول ﷺ عن الخروج من أرض أصابها الطَّاعون، والدُّخُول إليها.

وقد روى الحديث عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطَّاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله ﷺ: "الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، **فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**"[٤٨٦].

وقد أخرجه مسلم بلفظ: "الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ..."[٤٨٧]، وبلفظ: "الطَّاعُونُ آيَةُ الرِّجْزِ، ابْتَلَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَفِرُّوا مِنْهُ"[٤٨٨]، والتِّرمذي باستخدام لفظ: "... وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَلَسْتُمْ بِهَا فَلَا تَهْبِطُوا عَلَيْهَا"[٤٨٩].

---

[٤٨٦] البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. باب حديث الغار. ج. ٤: ١٧٥. رقم الحديث ٣٤٧٣. ومسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب الطَّاعون والطيرة والكهانة ونحوها. ج. ٤: ١٧٣٧. رقم الحديث ٢٢١٨(٩٢)، ٢٢١٨(٩٣)، ٢٢١٨(٩٤)، ٢٢١٨(٩٥)، ٢٢١٨(٩٧). وأبو داود. ٢٠٠٩. *سنن أبي داود*. كتاب الجنائز. باب الخروج من الطَّاعون. ج. ٥: ١٩. رقم الحديث ٣١٠٣. والتِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. باب ما جاء في كراهية الفرار من الطَّاعون. ج. ٣: ٣٧٠. رقم الحديث ١٠٦٥. قال التِّرمذي: حديث أسامة بن زيد حديث حسن صحيح. ومالك. ١٩٨٥. *الموطأ*. باب ما جاء في الطَّاعون. ج. ٢: ٨٩٦. وابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة. مسند سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه. ج. ٣: ٨٥. رقم الحديث ١٤٩١، ١٥٠٨، ١٥٢٧، ١٥٣٦، ١٥٧٧، ١٦١٥، ١٥٤٣٥، ١٥٤٣٦، ١٧٥٩٥، ١٧٦٦٢، ٢١٧٥١، ٢١٧٦٣، ٢١٨١٨، ٢١٨٢٧، ٢١٨٦٠، ٢٣١٦٦.

[٤٨٧] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب الطَّاعون والطيرة والكهانة ونحوها. ج. ٤: ١٧٣٧. رقم الحديث ٢٢١٨(٩٢).

[٤٨٨] المصدر نفسه. كتاب السَّلام. باب الطَّاعون والطيرة والكهانة ونحوها. ج. ٤: ١٧٣٧. رقم الحديث ٢٢١٨(٩٣).

[٤٨٩] التِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. باب ما جاء في كراهية الفرار من الطَّاعون. ج. ٣: ٣٧٠. رقم الحديث ١٠٦٥. قال التِّرمذي: حديث أسامة بن زيد حديث حسن صحيح.

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

وقد ذكر ابن قيِّم الجوزيَّة هذا الحديث، وناقش محتواه في فصلين من كتابه، هما: "فصل في هديه في الطَّاعون، وعلاجه، والاحتراز منه"، و "فصل النَّهي عن دخول أرض أصابها الطَّاعون أو الخروج منها"، ووصّف هذه الوسيلة الوقائيَّة بأنها تساعد الشخص الذي في داخل أرض الطَّاعون، لأنَّ الحركة الشَّديدة منه سوف تثير فضل رديء، الذي سوف يخلط بالكيموس (Chyme) الجيد في بدنه، ويسبب علة أخرى عظيمة، ولذلك السُّكون والدَّعة أحسن لمن كان في داخل أرض الطَّاعون. قال ابن قيِّم الجوزيَّة: "... البدن لا يخلو غالبًا من فضل رديء كامن فيه، فتثيره الرِّياضة والحمّام، ويخلطانه بالكيموس الجيد. وذلك يجلب علةً عظيمةً، بل يجب عند وقوع الطَّاعون السُّكون والدَّعة، وتسكين هيجان الأخلاط، ولا يمكن الخروج من أرض الوباء والسَّفر منها إلا بحركة شديدة، وهي مضرّة جدًا"[٤٩٠].

وإذا تتبّعنا أقوال الأطبَّاء والعلماء في توصيف منع الرَّسُول من خلال الحديث السَّابق، وجدنا أنَّ ابن قيِّم الجوزيَّة في الحقيقة نقل الكلام عن علاء الدِّين الكحَّال في كتابه "الأحكام النبويَّة في الصِّناعة الطِّبيَّة"[٤٩١]، الذي نقل محتوى قوله عن ابن سينا، ولم يغير ابن قيِّم الجوزيَّة كلام علاء الدِّين الكحَّال، إلا بعض الكلمات البسيطة، وكذلك لم يشر إلى علاء الدِّين الكحَّال في نقله عنه، والذي يراه الباحث، إنَّ هذا الأمر من أقوى الأدلة على أنَّ العلماء استعانوا بأقوال الأطبَّاء في شرحهم لأمور طبيَّة واردة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ.

---

[٤٩٠] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٣٤، ٣٥.

[٤٩١] الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ٣٥.

رأي الدّكتور النَّسيمي:

ناقش النِّسيمي حكمة نهي الرَّسُول ﷺ الوارد في الحديث في باب "سبق الإسلام في إيجاب الحجر الصِّحي"، وأيّد الحكمة الأخرى لهذه الوسيلة الوقائيَّة، إذ منع الخروج لمن كان داخل أرض الطَّاعون يساعد الأشخاص خارج هذه الأرض، من خلال عدم نشر الوباء من أرض الطَّاعون إليهم، وقد أكّد الدّكتور النَّسيمي هذا الأمر في كتابه، حيث قال: "... ولكنه – يعني الأشخاص داخل أرض الطَّاعون الذين يريدون الخروج – من حملة جراثيمه – يعني الطَّاعون – أو من حملة الحشرات النَّاقلة لجراثيم ذلك الوباء، كالبراغيث المصابة بجراثيم الطَّاعون، والقمل الحاملة لجراثيم التيفوس. لم يكن ذلك معروفًا، ومع ذلك فقد خطط رسول الله ﷺ بنور النُّبوَّة طريق الوقاية، وسبيل الحجر الصِّحي قبل اكتشاف الجراثيم، وتعيين مدة حضانة الأمراض السَّارية والوبائيَّة باثني عشر قرنًا ونيّفًا. وذلك عندما نهي عن القدوم على منطقة الوباء، وعن الخروج منها، فلا دخول إليها لئلا يتعرَّض الدَّاخل إلى العدوى، ولا خروج منها فرارًا، خشية أن يكون السَّليم ظاهرًا، واسطة لنقل الوباء إلى منطقة أخرى"[٤٩٢].

والذي يراه الباحث أن لا تعارض بين رأيي ابن قيّم الجوزيَّة، والدّكتور النَّسيمي، وإنما يكملان بعضهما بعضًا، فمنع الرَّسُول ﷺ الخروج من أرض الطَّاعون نافع لمن كان داخل أرض الوباء، ولمن كان خارجها، فقد بيَن القرطبي نفع عدم الخروج من أرض الطَّاعون لمن كان فيها، حيث قال: "وأما النهي عن الفرار منه لأنَّ الكائن في الموضع الذي الوباء فيه، لعله قد أخذ بحظ منه، لاشتراك أهل ذلك الموضع في

---

[٤٩٢] النَّسيمي. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٢. ص. ٣٨١.

سبب ذلك المرض العام، فلا فائدة لفراره، بل يضيف إلى ما أصابه من مبادئ الوباء مشقَّات السَّفر، فيتضاعف الألم، ويكثر الضَّرر، فيهلكون بكل طريق، ويطرحون في كل فجوة ومضيق ..."[٤٩٣]، فإنَّ ما ذكره القرطبي موافق لما ذكره ابن قيِّم الجوزيَّة سابقًا، ولكن بلغة يسيرة ووجيزة.

أما ما قاله الدّكتور النَّسيمي بأن منع الرَّسُول ﷺ الخروج لمن كان في أرض الطَّاعون لهدف اتقاء نشر العدوى والوباء إلى أمكنة أخرى، وإلى غيرهم من النَّاس، فإنه صحيح أيضًا، وقد أيّد هذه الحكمة العظيمة الكثير من العلماء، منهم الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني، حيث قال: "... ولا يُسمح لأحد من داخله بالخروج خوفًا من أن يكون مصابًا بالمرض، ولا يزال في دور الحضانة – أي في دور كمون الدَّاء قبل صولته واستفحاله، فينتقل الوباء إلى خارج البلد ويعم انتشاره في الأرض – لذلك لا يُسمح بخروج أي شخص إلا بعد إنَّ يُلقّح ضد جراثيم هذا الوباء ..."[٤٩٤]، وكذلك قال يوسف الحاج أحمد: "فقد أثبت الطِّبّ الحديث – كما يقول الدّكتور محمَّد علي البار – إنَّ الشخص السَّليم في منطقة الوباء قد يكون حاملًا للميكروب ... ولكن ليس كل من دخل جسمه الميكروب يصبح مريضًا، فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدو عليه أثر من آثاره ... والطَّاعون قد يصيب أشخاصًا عديدين دون أن يبدو على أي منهم علامات المرض ... ومع ذلك فهو ينقل المرض إلى غيره من الأصحَّاء."[٤٩٥].

---

[٤٩٣] القرطبي، أحمد بن عمر أبو العباس. ١٩٩٦. *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. تحقيق: محيي الدِّين ديب ميستو وآخرون. بيروت: دار ابن كثير. ج. ٥. ص. ٦١٣.

[٤٩٤] الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبِّيَّة في الإسلام*. ص. ١٣٢.

[٤٩٥] الحاج أحمد. ٢٠٠٣. *موسوعة الإعجاز العلمي في القُرآن الكريم والسنة المطهرة*. دمشق: مكتبة دار ابن حجر. ص. ٦٠٨.

وعلاوة على ذلك، فقد اعترف الطِّبّ الحديث بنفع منع الخروج لمن كان في أرض الوباء، حيث أثبت الطِّبّ الحديث أنَّ الاستقرار والاستراحة للمريض أنفع له طبيًا، لأنَّ جسم الإنسان يصنع البروتين المسمى بـ "سيتوكين" (Cytokine) أثناء النوم والاستراحة، ودوره مهم في نصر الجهاز المناعي (Immune System) لمحاربة العدوى[٤٩٦]، وكذلك فقد اعترف الطِّبّ الحديث أيضًا به، وهو يوافق مع مفهوم الحجر الصحي أو الكرنتينا (Quarantine)، والعزل (Isolation)، وهما مفيدان في منع نقل العدوى والفيروسات من المرضى إلى الأصحَّاء[٤٩٧].

وانطلاقًا من هذه النُّقطة، يظهر دور تطوُّر علم الطِّبّ في التأثير على فهم العلماء للحديث، حيث لوحظ أنه **يوسّع في فهم حكمة النهي عن الخروج من أرض الوباء والدُّخول إليها**، إذ يبدو أنَّ المتقدِّمين من العلماء مثل القرطبي وافق ابن قيِّم الجوزيَّة في إنَّ حكمة منع الرَّسُول ﷺ الخروج لمن كان في أرض الوباء منحصرة في حفظ صحَّة من كان داخلًا فيه، أما الدّكتور النَّسيمي، ومن معه من المعاصرين، فإنهم حدّدوا حكمةً أخرى زيادةً على ما نصه المتقدمون، وهي عدم نشر الوباء لمن كان خارج أرض الوباء.

---

[٤٩٦] جوشي، جاجديش. ٢٠١٦. " Cytokines and their Role in Health and Disease: A Brief Overview". *MedCrave Online Journal of Immunology*. ج. ٤. عدد (٢): أكتوبر. ص. ١، ٢. وانظر: نيمانجا زدراكوويك وآخرون. ٢٠١٨. " Physiology and Pathology of Immunology". *Physiology and Pathology of Cytokine: Commercial Production and Medical Use*. ج. ٣. عدد (١): يناير. ص. ٣٣-٤١.

[٤٩٧] د.ك. ١٧ ديسمبر ٢٠٢٠. "COVID-١٩: Quarantine vs. Isolation". *Centers for Disease Control and Prevention*. https://www.cdc.gov/coronavirus/٢٠١٩-ncov/downloads/COVID-١٩-Quarantine-vs-Isolation.pdf. التصفح في: ٦ يناير ٢٠٢٠.

٢. توصيف هدي الرَّسُول ﷺ في الحثِّ على النَّوم على الشِّق الأيمن.

وقد روى البراء بن عازب حديثًا، أنه قال: قال النَّبيّ ﷺ: "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، **ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ**، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ..."[٤٩٨].

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

ذكر ابن قيِّم الجوزيَّة هذا الحديث، وشرح محتواه في "فصل في تدبيره ﷺ لأمر النوم واليقظة"، ووصف هذه الوسيلة الوقائيَّة بأنها **تعين النَّائم لئلا يستغرق في نومه ويستثقل**، حتى لا يفوت مصالح دنياه، ودينه. قال ابن قيِّم الجوزيَّة: "إنَّ الحكمة في النَّوم على على الجانب الأيمن ألا يستغرق النَّائم في نومه، لأنَّ القلب فيه ميل إلى جهة اليسار، فإذا نام على جنبه الأيمن طلب القلب مستقره من الجانب الأيسر، وذلك يمنع من استقرار النَّائم واستثقاله في نومه، بخلاف قراره في النَّوم على اليسار، فإنه مستقره، فيحصل بذلك الدعة التَّامَّة، فيستغرق الإنسان في نومه، ويستثقل فيفوته مصالح دينه ودنياه ..."[٤٩٩]. وأكد أيضًا إنَّ النوم على الشِّق الأيمن **يعدُّ مقدِّمة لعمليَّة هضم الغذاء**. قال ابن قيِّم الجوزيَّة: "وأنفع النَّوم: إنَّ ينام على الشِّق الأيمن، ليستقرَّ الطَّعام بهذه الهيئة في المعدة استقرارًا حسنًا، فإنَّ المعدة أُميل إلى

---

[٤٩٨] البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب الوضوء. باب فضل من بات على الوضوء. ج. ١:٥٨. رقم الحديث ٢٤٧. وكتاب الدعوات. باب إذا بات طاهرا وفضله. ج. ٨: ٦٨. رقم الحديث ٦٣١١. ومسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب الذكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار. باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. ج. ٤: ٢٠٨١. رقم الحديث ٥٦(٢٧١٠). وأبو داود. ٢٠٠٩. *سنن أبي داود*. أبواب النوم. باب ما يقال عند النوم. ج. ٧: ٣٨٨. رقم الحديث ٥٠٤٦. والتِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. كتاب الدعوات. باب في انتظار الفرج وغير ذلك. ج. ٥: ٥٦٧. رقم الحديث ٣٥٧٤. قال التِّرمذي: وهذا حديث حسن صحيح. وابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند الكوفيين. حديث البراء بن عازب. ج. ٣٠: ٥٥٠. رقم الحديث ١٨٥٨٧.

[٤٩٩] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ١٨٨.

الجانب الأيسر قليلًا، ثم يتحوَّل إلى الشِّق الأيسر قليلًا ليسرع الهضم بذلك لاستمالة المعدة على الكبد، ثم يستقر نومه على الجانب الأيمن، ليكون الغذاء أسرع انحدارًا عن المعدة ..."[٥٠٠]، وقد نقل هذا الشرح الطِّبِّي عن علاء الدِّين الكحَّال في كتابه، ولم يغير كلامه إلا كلمات يسيرة، ولم يشر إلى علاء الدِّين الكحَّال في نقله عنه[٥٠١].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

أما الدّكتور النَّسيمي، فإنه ذكر الحديث، وناقشه في باب "النَّوم بين الإسلام والطِّبّ"، ضمن نقطة "شرائط النَّوم الهنيء"، ثم أكّد بأن النَّوم على الجانب الأيمن مع فاعليته **في تسهيل إفراغ الطَّعام بعد هضمه في المعدة**، فإنه مفيد جدًا في **استعداد أحسن الأوضاع لنيل الرَّاحة الكاملة للنَّائم**. قال الدّكتور النَّسيمي: "وللنَّائم أثناء النَّوم أن يتقلب بحسب راحته، وإن كان أكثر هذه الأوضاع راحة هو الجانب الأيمن أيضًا، لأنَّ الكبد التي هي أثقل الأحشاء تكون مستقرَّة لا معلَّقة، وكذلك القلب يكون في هذا الوضع أخف حملًا، إذ لا يكون فوقه إلا قليل من الرئة، فيكون أنشط فعلًا[٥٠٢].

ويمكن التَّلخيص فإنَّ ابن قيِّم الجوزيَّة والدّكتور النَّسيمي متفقان في قولهما أنَّ النَّوم على الشِّق الأيمن له نفعه الصِّحي الواضح، بناءً على علم الطِّبّ السَّائد في عصرهما. وإذا تتبعنا أقوال المتقدِّمين من العلماء، يستنتج الباحث أنهم أكّدوا ما ذكره ابن قيِّم الجوزيَّة من حِكم وفوائد صحيَّة، أولاها أنَّ النَّوم

---

[٥٠٠] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص١٨٦.

[٥٠١] الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ١١٣.

[٥٠٢] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ١. ص. ٣٩١.

على الشِّق الأيمن أنفع الأوضاع في مساعدَّة هضم الطَّعام. قال علاء الدِّين الكحَّال: "... وأفضل هيئة النَّوم ما كان أولًا على الشِّق الأيمن، ليستقرَّ الطَّعام بهذه الهيئة في المعدة، استقرارًا حسنًا، لأنَّ المعدة أميل إلى الجانب الأيمن قليلًا، ثمَّ على الشِّق الأيسر، ليسرع الهضم بذلك، لاستمالة الكبد على المعدة، ثم أخيرًا على الجانب الأيمن، ليكون الغداء أسرع انحدارًا عن المعدَّة ..."[٥٠٣]. قال ابن حجر ناقلًا عن ابن الجوزي: "هذه الهيئة نصَّ الأطبَّاء على أنها أصلح للبدن، قالوا: يبدأ بالاضطجاع على الجانب الأيمن ساعة، ثم ينقلب إلى الأيسر، لأنَّ الأوَّل سبب لانحدار الطَّعام، والنَّوم على الأيسر يهضم لاشتمال الكبد على المعدة"[٥٠٤].

أما ثانيتها، فإنَّ النَّوم على الشِّق الأيمن يساعد النَّائم لئلا يستغرق في نومه، وييسره في الانتباه من النَّوم. قال القرطبي: "وقيل: الحكمة في الاضطجاع على اليمين، أن يتعلَّق القلب إلى الجانب الأيمن، فلا يثقل النَّوم ..."[٥٠٥]. قال النَّووي: "... النَّوم على الشِّق الأيمن، لأنَّ النَّبيّ ﷺ كان يحب التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه"[٥٠٦]. قال علاء الدِّين الكحَّال مشيرًا إلى نفع النَّوم على الشِّق الأيمن: "(ثم اضطجع على شقِّك الأيمن): لئلا يستغرق في النَّوم، لتعلق القلب الذي هو أميل إلى جهة اليسار حينئذ، إلى جهة اليمين ..."[٥٠٧].

---

[٥٠٣] الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ١١٣.

[٥٠٤] العسقلاني. ١٣٧٩. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ١١. ص. ١١٠.

[٥٠٥] القرطبي. ١٩٩٦. *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. ج. ٧. ص. ٣٨.

[٥٠٦] النووي. ١٣٩٢. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج*. ج. ١٧. ص. ٣٣.

[٥٠٧] الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ١١٦.

وبالإضافة إلى ذلك، يظهر موافقة أقوال المعاصرين من العلماء لما نصَّ عليه الدّكتور النَّسيمي، حيث ذكروا أنَّ النَّوم على الشِّق الأيمن يقلل الضَّغط على القلب، ولا شكَّ أنه يؤدي إلى الرَّاحة الكاملة للنَّائم، كما أكّد الدّكتور النَّسيمي. قال الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني: "... وأحسن النَّوم ما كان على الجانب الأيمن من الجسم، حيث يأخذ القلب حريته في الحركة ..."[٥٠٨]. قال يوسف الحاج أحمد: "فالنَّوم على الشِّق الأيمن هو الوضع الصَّحيح، لأنَّ الرئة اليسرى أصغر من اليمنى، فيكون القلب أخفُّ حملًا ..."[٥٠٩].

وقد أكَّد الطِّبّ المعاصر أنَّ النَّفع الصحي لا ينحصر في النَّوم على الشِّق الأيمن فقط، بل يتعدّى إلى غيره من الأوضاع أيضًا. وعلى سبيل المثال، إنَّ النَّوم على الشِّق الأيسر نافع في إخفاض خرقة الفؤاد، وذلك لأنَّ المعدة والعصارة المعديَّة تكونان منخفضتين من المريء حينئذ، وكذلك النَّوم على الشِّق الأيسر أو الأيمن يخلي ما يسمى بـ "Interstitial waste" من الدِّماغ مما يقي النَّاس من الإصابة بالأمراض العصبيَّة مثل ألزهايمر وباركنسون. وأكَّد أيضًا أنَّ النَّوم على الظَّهر قد يكون نافعًا خاصَّة في إخفاض بعض آثار الأمراض مثل الألم في الورك والركبة، والتهاب المفصل (Arthritis)، والتهاب

---

[٥٠٨] الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبِّيَّة في الإسلام*. ص. ١٦١.

[٥٠٩] الحاج أحمد. ٢٠٠٣. *موسوعة الإعجاز العلمي في القُرآن الكريم والسنة المطهرة*. ص. ٩١٢.

الجراب (Bursitis)، والتهاب الجيوب (Sinusitis)، ونحوها[٥١٠]، وبالتالي يظهر هنا إنَّ هذه الأوضاع المختلفة لها نفعها الصحي في الطِّبّ المعاصر.

والجدير بالذكر أنَّ الرَّسُول ﷺ كان ملازمًا للتيمن في جميع الأشياء، فكان الرَّسُول ﷺ كما قالت السيدة عائشة يعجبه التيمُّن في تنعّله، وترجّله، وطهوره في شأنه كله[٥١١]، وبالتالي، يمكن القول أيضًا أنَّ الرَّسُول ﷺ حثَّ المسلمين على ملازمة النَّوم على الشِّق الأيمن من باب الحرص على التيمن في جميع الأشياء، ولذلك قال النَّووي شارحًا للحديث كما ذكر الباحث آنفًا: "... النَّوم على الشِّق الأيمن، لأنَّ النَّبيّ ﷺ كان يحب التيامن ..."[٥١٢]. وبناءً على ما سبق، يرى الباحث أنَّ النَّوم على الشِّق الأيمن يعدُّ أفضل أوضاع النوم كما نصَّ العلماء، مثل ابن قيِّم الجوزيَّة، وعلاء الدِّين الكحَّال من المتقدِّمين، والدّكتور النَّسيمي، والدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني من المعاصرين، وذلك لأنه جامع لفضيلتين معًا، وهما الفضيلة الصِّحيَّة كما تقدم ذكرها سابقًا، ولفضيلة الاتباع والتأسي بالرَّسُول ﷺ الذي يقدم التيامن في جميع شؤونه ﷺ.

وخلاصة البحث أنَّ تطوُّر علم الطِّبّ يؤثر في **تأكيد فهم الحديث**، حيث يظهر أنَّ المتقدِّمين من العلماء، وابن قيِّم الجوزيَّة، والدّكتور النَّسيمي، ومن معه من المعاصرين، والطِّبّ المعاصر، نصوا على

---

[٥١٠] د.ك. ٢٩ يونيو ٢٠١٨. " How these ٣ sleep positions affect your gut health". *Healthline.com*. https://www.healthline.com/health/healthy-sleep/sleep-effects-digestion. التصفح في: ٦ يناير ٢٠٢٠.

[٥١١] انظر: البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. باب التيمن في الوضوء والغسل. ج. ١: ٤٥. رقم الحديث ١٦٨.

[٥١٢] النووي. ١٣٩٢. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج*. ج. ١٧. ص. ٣٣.

فوائد صحيَّة للنَّوم على الشِّق الأيمن، مثل منع استثقال النَّوم للنَّائم، وتجهيز الرَّاحة الكاملة للنَّائم، وتقليل الضَّغط على القلب، ويساعد في عمليَّة هضم الطَّعام، وغيرها من الفوائد الأخرى.

المطلب الثَّاني: أثر تطوُّر علم الطِّبّ في بيان أسباب حدوث مرض معين

إنَّ الأمراض بعد حدوثها داخلة في نقاش محور الطِّبّ النَّبويّ العلاجي، لأنَّ الأبدان إذا مرضت سوف تحتاج إلى طرق علاجيَّة مناسبة، أو الأدوية الصَّحيحة، لعلاجها بعد الإصابة بالأمراض، بل إنَّ هذا الجهد في البحث عن الوسائل العلاجيَّة الصَّحيحة يعدُّ من إرشادات وتوجيهات النُّـبوَّة، حيث نجد عدَّة أحاديث في المصادر الحديثيَّة تدلُّ على ذلك، مثل حديث: " تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ: الْهَرَمُ "[٥١٣]، وحديث: "لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أَصَابَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ"[٥١٤]، وغيرها من الأحاديث الصَّحيحة التي تشير إلى أنَّ البحث عن وسائل علاجيَّة أمر مطلوب في الشَّرع الإسلامي.

وإن كانت قضيَّة الأمراض وعلاجها داخلة في نطاق الطِّبّ العلاجي، ولكنَّ الجدير بالذكر هنا إنَّ التَّفتيش عن أسباب حدوث الأمراض قبل حدوثها يعدُّ من الجهود الوقائيَّة التي تندرج تحت نقاش محور الطِّبّ النَّبويّ الوقائي، لأنَّ معرفة الإنسان سبباً من الأسباب المؤدية إلى الأمراض سوف تجعله واعيًا بوجود الأمراض وضررها، وإنَّ هذا الوعي الإيجابي سيحثّه على اتخاذ أي وسيلة مناسبة كانت لوقاية نفسه

---

[٥١٣] تقدم تخريجه.

[٥١٤] تقدم تخريجه.

من هذه الأسباب المؤذية المؤدِّية إلى الأمراض، ولذلك أدخل الباحث هذه القضيَّة في نقاش الآثار في محور الطِّبّ الوقائي، لمناسبتها لها، أكثر من محور الطِّبّ العلاجي.

وفي هذا المطلب، سوف يبيّن الباحث آثار تطوُّر علم الطِّبّ في كيفيَّة تناول العلماء لأسباب الأمراض المختلفة الواردة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، مع الإتيان ببعض الأمثلة الواقعة في كتابي ابن قيِّم الجوزيَّة، والدّكتور النَّسيمي، وهي كما في النِّقاط الآتية:

١. تحديد سبب مرض الحُمَّى.

روت عائشة رضي الله عنها حديثًا، عن النَّبيّ ﷺ قال: "**الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ** فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ"[٥١٥]. وقد أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ "فَأَطْفِئُوهَا" بدلًا من "فَأَبْرِدُوهَا"[٥١٦]، وبلفظ "فَابْرُدُوهَا"[٥١٧]، ومسلم في صحيحه بلفظ "فَأَطْفِئُوهَا"[٥١٨]، وابن ماجه في سننه بلفظ "إِنَّ شِدَّةَ

---

[٥١٥] البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب بدء الخلق. باب صفة النَّار، وأنها مخلوقة. ج. ٤: ١٢٠، ١٢١. رقم الحديث ٣٢٦١، ٣٢٦٣، ٣٢٦٤. وكتاب الطِّبّ. باب الحُمَّى من فيح جهنم. ج. ٧: ١٢٩. رقم الحديث ٥٧٢٣، ٥٧٢٥. ومسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب لكل داء دواء واستحباب التَّداوي. ج. ٤: ١٧٣١. رقم الحديث ٧٨(٢٢٠٩)، ٨١(٢٢١٠)، ٧٩(٢٢٠٩)، ٨٠(٢٢٠٩). والتِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. كتاب الطِّبّ عن رسول الله ﷺ. باب ما جاء في تبريد الحُمَّى بالماء. ج. ٤: ٤٠٤. رقم الحديث ٢٠٧٤. قال التِّرمذي: وفي حديث أسماء كلام أكثر من هذا وكلا الحديثين صحيح. وابن ماجه. د.ت. سنن ابن ماجه. كتاب الطِّبّ. باب الحُمَّى من فيح جهنم، فابردوها بالماء. ج. ٢: ١١٤٩، ١١٥٠. رقم الحديث ٣٤٧١، ٣٤٧٢، ٣٤٧٣. والدَّارمي. ٢٠٠٠. *سنن الدَّارمي*. كتاب الرقاق. باب: الحُمَّى من فيح جهنم. ج. ٣: ١٨٢٢. رقم الحديث ٢٨١١. ومالك. ١٩٨٥. *الموطأ*. كتاب العين. باب الغسل بالماء من الحُمَّى. ج. ٢: ٩٤٥. رقم الحديث ١٦. وابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. من مسند بني هاشم. مسند عبد الله بن العباس. ج. ٤: ٣٩٦. رقم الحديث ٢٦٤٩. ومسند المكثرين من الصَّحابة. مسند عبد الله بن عمر. ج. ٨: ٣٤٢. رقم الحديث ٤٧١٩. و ج. ٩: ٤٠٩. رقم الحديث ٥٥٧٦. ومسند النِّساء. مسند الصديقة عائشة بنت الصديق. ج. ٤٠: ٢٧٧، ٢٧٨. رقم الحديث ٢٤٢٢٨، ٢٤٢٢٩. و ج. ٤١: ١٤٦، ١٤٧. رقم الحديث ٢٤٥٩٨.

[٥١٦] البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب الطِّبّ. باب الحُمَّى من فيح جهنم. ج. ٧: ١٢٩. رقم الحديث ٥٧٢٣.

[٥١٧] المصدر نفسه. كتاب الطِّبّ. باب الحُمَّى من فيح جهنم. ج. ٧: ١٢٩. رقم الحديث ٥٧٢٥.

الْحُمَّى"[٥١٩]، والدَّارمي في سننه، بلفظ "الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، أَوْ مِنْ فَوْرِ جَهَنَّمَ"[٥٢٠]، وأحمد في مسنده بلفظ "فَأَبْرِدُوهَا بِمَاءِ زَمْزَمَ"[٥٢١].

رأي ابن قيّم الجوزيَّة في تحديد سبب مرض الحُمَّى:

ذكر ابن قيِّم الجوزيَّة هذا الحديث، وناقش محتواه في "فصل في هديه ﷺ في علاج الحُمَّى"، ويرى أنَّ أسباب حدوث مرض الحُمَّى راجعة إلى أنواع هذا المرض نفسه، وهي نوعان، ولكل نوعي الحُمَّى أسباب لحدوثها. قال ابن قيِّم الجوزيَّة: "وهي – يعني الحُمَّى – تنقسم إلى قسمين: عرضيَّة: وهي الحادثة إما عن الورم، أو الحركة، أو إصابة حرارة الشَّمس، أو القيظ الشَّديد، ونحو ذلك. ومرضيَّة: وهي ثلاثة أنواع، وهي لا تكون إلا في مادَّة أولى، ثم منها يسخن جميع البدن. فإنَّ كان مبدأ تعلقها بالرُّوح سميت حمَّى يوم، لأنها في الغالب تزول في يوم، ونهايتها ثلاثة أيام، وإن كان مبدأ تعلقها بالأخلاط سميت عفنيَّة، وهي أربعة أصناف: صفراويَّة، وسوداويَّة، وبلغميَّة، ودمويَّة، وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصليَّة

---

[٥١٨] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب لكل داء دواء واستحباب التَّداوي. ج. ٤: ١٧٣٢. رقم الحديث ٧٩(٢٢٠٩)، ٨٠(٢٢٠٩).

[٥١٩] ابن ماجه. د.ت. *سنن ابن ماجه*. كتاب الطِّبّ. باب الحُمَّى من فيح جهنَّم، فابردوها بالماء. ج. ٢: ١١٤٩، ١١٥٠. رقم الحديث ٣٤٧٢. وصحَّحها الألباني.

[٥٢٠] الدَّارمي. ٢٠٠٠. *سنن الدَّارمي*. كتاب الرقاق. باب: الحُمَّى من فيح جهنَّم. ج. ٣: ١٨٢٢. رقم الحديث ٢٨١١.

[٥٢١] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. من مسند بني هاشم. مسند عبد الله بن العباس. ج. ٤: ٣٩٦. رقم الحديث ٢٦٤٩.

سميت حمَّى دق، وتحت هذه الأنواع أصناف كثيرة"[٥٢٢]. ثم خلص إلى أنَّ هذا التعبير النَّبويّ يفيد أحد أمرين[٥٢٣]:

أوَّلًا: أنموذج اشتُقت من جهنَّم عبرةً ودلالةً للعباد، كما أنَّ الفرح، واللذة، وغيرهما تعد من نعيم الجنَّة التي أظهرها الله في الأرض.

ثانيًا: تشبيه شدة حرِّ الحُمَّى بحر جهنَّم، تنبيها للنَّاس على شدَّة عذاب النَّار.

وبعد تتبع الباحث لأقوال الأطبَّاء في هذا الباب، وجد أنَّ ابن قيِّم الجوزيَّة اشتقَّ هذا الكلام من علاء الدِّين الكحَّال أيضًا[٥٢٤]، ولم يغير ما أكَّده علاء الدِّين عن نوعي مرض الحُمَّى في كتابه إلا بعض الكلمات البسيطة، ومع ذلك لم ينسب الكلام إلى علاء الدِّين الكحَّال في نقله عنه، وفيه دلالة صريحة على رجوع العلماء إلى أهل الفن من الأطبَّاء عند شرحهم لأقوال الرَّسُول ﷺ المتعلِّقة بالطِّبّ.

رأي الدّكتور النَّسيمي في تحديد سبب مرض الحُمَّى:

ذكر الدّكتور النَّسيمي الحديث، وشرح محتواه في باب "تبريد الحُمَّى بالماء"، وأكد أنَّ الحُمَّى قد تحدث نتيجة الحرارة العالية من ضربة الشَّمس، وكذلك الرطوبة الشَّديدة، وقد تحدث أيضًا نتيجة حدوث بعض الأمراض مصادفةً، مثل الحُمَّى المستمرة (Continuous Fever)، والحُمَّى المترددة (Remittent Fever) تصادفان في السل (TB)، والحُمَّى التيفيَّة (Thyphoid Fever)،

---

[٥٢٢] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢١، ٢٢.

[٥٢٣] انظر: المصدر نفسه. ص. ٢٣.

[٥٢٤] الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ١٨، ١٩.

والحُمَّى اليوميَّة، والحُمَّى الدَّوريَّة (Periodic Fever) تصادف في التَّقيُّحات، وفي البُرداء، (Malaria) وبعض أشكالها[٥٢٥].

وبعد تتبع الباحث للشُّروحات الحديثيَّة، وجد أنَّ أكثر الشرّاح لهذا الحديث لم يتطرَّقُوا إلى النِّقاش حول أسباب حدوث مرض الحُمَّى للإنسان، ولكنهم في شرحهم لهذا الحديث قاموا بالردِّ على بعض الأطبَّاء الذين اعترضوا على هذا الحديث[٥٢٦]، إلا أنَّ ابن حجر مع رده على المعترضين، ذكر أنَّ سبب حدوث الحُمَّى راجع إلى أنواع الحُمَّى نفسها، وقوله هذا شبيه جدًا بقول ابن قيِّم الجوزيَّة كما تقدَّم، بل إنَّ سياق كلامه يشبه تمامًا نصَّ ابن قيِّم الجوزيَّة في كتابه، إلا أنه غيّره في بعض الكلمات البسيطة، وقد يكون ناقلًا عن ابن قيِّم الجوزيَّة أو علاء الدِّين الكحَّال، لتشابه سياق كلامه معهما[٥٢٧].

وبالإضافة إلى ذلك، أكَّد الطِّبّ المعاصر أنَّ الحُمَّى تصيب الإنسان لعدَّة أسباب، منها إصابة الإنسان بالتهاب جرثومي أو فيروسي مما يؤدى إلى ارتفاع حرارة الجسم[٥٢٨]، وأكَّد أيضًا أنها تصيب الإنسان نتيجة استجابة دفاعيَّة (Defensive response) صادرة عن جسم الإنسان تجاه انتهاك

---

[٥٢٥] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٢٠٩، ٢١٠.

[٥٢٦] انظر: المازري، محمَّد بن علي أبو عبد الله. ١٩٨٨. *المعلم بفوائد مسلم*. تحقيق: محمَّد الشَّاذلي النيفر. ط. ٢.تونس: الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر. ج. ٣. ص. ١٧٠، ١٧١. وانظر: القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى. ١٩٩٨. *إكمال المعلم بفوائد مسلم*. تحقيق: يحي إسماعيل. . مصر: دار الوفاء. ج. ٧. ص. ١١٢. وانظر: القرطبي. ١٩٩٦. *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. ج. ٥. ص. ٥٩٩-٦٠١.

[٥٢٧] العسقلاني. ١٣٧٩. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ١٠. ص. ١٧٧.

[٥٢٨] الحاج أحمد. ٢٠٠٣. *موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة*. ص. ٧٠١.

كائنات مجهريَّة (Micro-organism) يعدها جسم الإنسان ممرضًا[٥٢٩]. ويُفهم من هذا الأمر أنَّ الحُمَّى تحدث من تفاعل جسم الإنسان نفسه مع الفيروسات والعدوى، ولذلك لا غرابة في أنها تصادف في عدَّة أمراض، كما نصَّ الدّكتور النَّسيمي آنفًا، وكل هذا لغرض استجابة الجسم الدفاعيَّة تجاه الجراثيم التي تحمل الأمراض الفتَّاكة.

وبناءً على ما سبق، يخلص الباحث إلى أنَّ المتقدِّمين والمعاصرين من العلماء، وكذلك الطِّبّ المعاصر، أرجعوا أسباب مرض الحُمَّى إلى أربعة أمور:

أوَّلًا: السَّبب الخارجي مثل الحرارة العالية من ضربة الشَّمس، أو القيظ الشَّديد، أو الرطوبة الشَّديدة، ونحوها.

ثانيًا: حدوث بعض الأمراض الأخرى كالسل والبُرداء، فالحُمَّى ناتجة عنها عرضاً.

ثالثًا: إصابة الإنسان بالتهاب جرثومي أو فيروسي.

رابعًا: نتيجة استجابة دفاعيَّة تجاه انتهاك كائنات مجهريَّة.

والذي يراه الباحث إنَّ ذكر الرَّسُول ﷺ أنَّ سبب الحُمَّى هو فيح جهنَّم يعد وصفًا على سبيل المجاز والتشبيه، كما نصَّ ابن قيِّم الجوزيَّة سابقًا، حيث شبّه الرَّسُول ﷺ حرَّ الحُمَّى الذي يصيب الإنسان بسبب حرارة خارجيَّة كحرارة الشَّمس، بحرارة جهنَّم، وبالتالي يمكن القول أنَّ السَّبب الذي ذكره الرَّسُول ﷺ داخل ضمن السَّبب الأوَّل من الأسباب الأربعة التي ذكرها الباحث آنفًا، وهو السَّبب الخارجي مثل

---

[٥٢٩] أوجوينا، ديمي. ٢٠١١. " Fever, fever patterns and diseases called `fever` – A review". *Journal of Infection and Public Health*. ج. ٤. عدد (٣): أغسطس. ص. ١٠٩.

القيظ الشَّديد، ونحوه، ومنه ارتفاع حرارة جسم الإنسان، وإصابته حينئذٍ بمرض الحُمَّى. والخلاصة هناك دور واضح لتطوُّر علم الطِّبّ في تأكيد فهم الحديث، حيث أكَّد تشبيه شدَّة الحُمَّى بحرِّ جهنَّم، وهو ما ذهب إليه ابن قيِّم الجوزيَّة في كتابه.

٢. تحديد سبب مرض الطَّاعون:

الحديث الأوَّل: روى أسامة بن زيد رضي الله عنه حديثًا قال: قال رسول الله ﷺ":**الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ** أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ. وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ"[٥٣٠].

أخرج مسلم في صحيحه بلفظ "الطَّاعُونُ آيَةُ الرِّجْزِ، ابْتَلَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ..."، وبلفظ "إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أَوْ بَقِيَّةُ عَذَابٍ عُذِّبَ بِهِ أُنَاسٌ مِنْ قَبْلِكُمْ..."[٥٣١]، والبخاري في صحيحه بلفظ: "الطَّاعُونَ رِجْسٌ..."[٥٣٢]، والتِّرمذي بلفظ: "بَقِيَّةُ رِجْزٍ أَوْ عَذَابٍ..."[٥٣٣].

---

[٥٣٠] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب الطَّاعون والطيرة والكهانة ونحوها. ج. ٤: ١٧٣٧-١٧٣٩. رقم الحديث ٢٢١٨(٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧)، والبخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب أحاديث الأنبياء. باب حديث الغار. ج. ٤: ١٧٥. رقم الحديث ٣٤٧٣. والتِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. أبواب الجنائز. باب ما جاء في كراهية الفرار من الطَّاعون. ج. ٣: ٣٧٠. رقم الحديث ١٠٦٥. قال التِّرمذي: حديث أسامة بن زيد حديث حسن صحيح. ومالك. ١٩٨٥. *الموطأ*. كتاب الجامع. باب ما جاء في الطَّاعون. ج. ٢: ٨٩٦. رقم الحديث ٢٣. وابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة. مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص. ج. ٣: ٨٥. رقم الحديث ١٤٩١. ج. ٣: ١١١، ١١٢. رقم الحديث ١٥٢٧. و ج. ٣: ١٤٣. رقم الحديث ١٥٧٧. ومسند الشَّاميين. حديث شرحبيل بن حسنة. ج. ٢٩: ٢٨٧-٢٩١. رقم الحديث ١٧٧٥٣، ١٧٧٥٤، ١٧٧٥٥، ١٧٧٥٦. ومسند الكوفيين. حديث أبي موسى الأشعري. ج. ٣٢: ٤٨٠. رقم الحديث ١٩٧٠٨.

[٥٣١] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب الطَّاعون والطيرة والكهانة ونحوها. ج. ٤: ١٧٣٧-١٧٣٩. رقم الحديث ٢٢١٨(٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧).

[٥٣٢] البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب أحاديث الأنبياء. باب حديث الغار. ج. ٤: ١٧٥. رقم الحديث ٣٤٧٣.

وأخرجه أحمد في مسنده من طريق سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه، بلفظ: "رِجْزٌ أُصِيبَ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ..."[٥٣٤].

الحديث الثَّاني: روى أبو موسى الأشعري حديثًا، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "فناء أمتي بالطَّعن والطَّاعون". فقيل: يا رسول الله، هذا الطَّعن قد عرفناه، فما الطَّاعون؟ قال: **"وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ، وَفِي كُلٍّ شُهَدَاءُ"**[٥٣٥].

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

ذكر ابن قيِّم الجوزيَّة الحديث في "فصل في هديه ﷺ في الطَّاعون، وعلاجه، والاحتراز منه"، وإذا نظرنا في ما كتبه، نجد أنه قال أن الطَّاعون يحدث لسببين، وهما دم رديء في جسم الإنسان، كما نصَّ الأطبَّاء، وكذلك بسبب تأثير الأرواح في الطَّبيعة. قال ابن قيِّم الجوزيَّة: "... وكان من جنس فاسد سُمّي طاعونًا، وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد مستحيل إلى جوهر سُمّيّ، يُفسد العضو ويغيّر ما يليه، وربما رشح دمًا وصديدًا، ويؤدي إلى القلب كيفيَّة رديئة فيحدث القيء والخفقان والغشي ..."[٥٣٦]. وقد نقل

---

[٥٣٣] التِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. أبواب الجنائز. باب ما جاء في كراهية الفرار من الطَّاعون. ج. ٣: ٣٧٠. رقم الحديث ١٠٦٥. قال التِّرمذي: حديث أسامة بن زيد حديث حسن صحيح.

[٥٣٤] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة. مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص. ج. ٣: ٨٥. رقم الحديث ١٤٩١. قال شُعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشَّيخين غير يحيى بن سعد. و ج. ٣: ١١١، ١١٢. رقم الحديث ١٥٢٧. قال شُعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

[٥٣٥] المصدر نفسه. مسند الكوفيين. حديث أبي موسى الأشعري. ج. ٣٢: ٢٩٣. رقم الحديث ١٩٥٢٨. و ج. ٣٢: ٤٨٠. رقم الحديث ١٩٧٠٨. وقد حسّنه ضياء الرحمن الأعظمي في الجامع الكامل. انظر: الأعظمي، محمد عبد الله. ٢٠١٦. *الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه*. السعودية: دار السلام. ج. ٩. ص. ٨١٣.

[٥٣٦] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٣١.

ابن قيّم الجوزيَّة هذا الكلام مرةً أخرى عن علاء الدِّين الكحَّال دون الإشارة إليه، وأصل الكلام هو كلام ابن سينا، كما أشار إليه علاء الدِّين الكحَّال في كتابه.[٥٣٧].

وفي موطن آخر، قال ابن قيّم الجوزيَّة: "وهذه العلل والأسباب ليس عند الأطبَّاء ما يدفعها، كما ليس عندهم ما يدلُّ عليها، والرسل تخبر بالأمور الغائبة، وهذه الآثار التي أدركوها من أمر الطَّاعون ليس معهم ما ينفي أن تكون بتوسط الأرواح، فإنَّ تأثير الأرواح في الطَّبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لا ينكره إلا من هو أجهل النَّاس بالأرواح وتأثيراتها، وانفعال الأجسام وطبائعها عنها، والله سبحانه قد يجعل لهذه الأرواح تصرفًا في أجسام بني آدم عند حدوث الوباء، وفساد الهواء، كما يجعل لها تصرفًا عند بعض المواد الرديئة التي تحدث للنُّفوس هيئة رديئة، ولا سيما عند هيجان الدم، والمرة السَّوداء، وعند هيجان المني، فإنَّ الأرواح الشَّيطانيَّة تتمكن من فعلها بصاحب هذه العوارض ما لا تتمكن من غيره، ما لم يدفعها دافع أقوى من هذه الأسباب من الذكر، والدُّعاء، والابتهال والتَّضرُّع، والصدقَّة، وقراءة القُرآن ..."[٥٣٨].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

أما الدّكتور النَّسيمي، فإنه شرح محتوى الحديث في باب "توافق الإسلام والطِّبّ الحديث في وباء الطَّاعون"، ضمن نقطة "سبب الطَّاعون وطريق سرايته"، وأكّد أنَّ سبب حدوث مرض الطَّاعون هو البراغيث التي تحمل العامل الجرثومي لهذا الدَّاء، وهذا الدَّاء في الأصل هو مرض أصيبت به الفئران

---

[٥٣٧] انظر: الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ٣٠.

[٥٣٨] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٣٢.

والجرذان الوحشيَّة والأهليَّة، ولكن هذه البراغيث تركتها بعد أن أصيبت الفئران بآثار الطَّاعون، ثم انتقلت إلى حيوانات أخرى سليمة، فإن لم تجد، فإنها تنتقل إلى الإنسان السَّليم، وتسبب هذه العدوى المؤذية، التي تنتشر عن طريق خرء البراغيث، أو لدغتها. قال الدّكتور النَّسيمي: "تحدث العدوى – يعني الطَّاعون – في معظم الحوادث عن طريق خرء البراغيث المفعم بالعصيَّات الطَّاعونية تلقي به على الجلد، فتدخل بسبب سحج الجلد بالحكّ، أو من موضع وخزة البرغوث نفسها. ومن النَّادر دخول تلك الجراثيم عن طريق اللدغة مباشرة، لأنَّ ذلك لا يكون إلا إذا انسدت معدَّة البرغوث، بحيث لا يمكنه أن يستسيغ ما يمتصه من الدم، فيعود إلى اللدغة ..."[٥٣٩].

وبالإضافة إلى ذلك، ذكر الدّكتور النَّسيمي أيضًا في نقطة "معنى وخز أعدائكم من الجنّ" المعنى المجازي لوخز الجنّ الذي يسبب الطَّاعون، وأكّد بأنَّ وخز الجنّ قد يراد به معنى وخز البراغيث أو الجراثيم، وسُمي بالجنّ مجازًا، لاختفائه عن عيون النَّاس المجرَّدة. قال الدّكتور النَّسيمي: "أما المعنى المجازي الذي أرجِّح، فإنه حاصل من وجود تشبيه بليغ (حذفت من التشبيه الأداة ووجه الشَّبه)، فالمعنى وخز أعدائكم أمثال الجنّ في الخفاء عن الأنظار. أي أنَّ هناك مخلوقات تدق عن أبصاركم عدوة لكم تسبب لمن تخزه وتؤذيه الطَّاعون ... فمن هم أعداؤنا الذين يختفون عن أبصارنا كالجنّ، ويسببون وباء الطَّاعون؟ لقد مضى دهر طويل وطويل قبل اكتشاف تلك الأعداء التي تبين فيما بعد أنها نوع من الجراثيم العصويَّة المعروفة بـ (عصيَّات يه رسن)، تكون في البدء في الجرذان المطعونة، ومنها تنقلها البراغيث إلى الإنسان.

---

[٥٣٩] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٢. ص. ٣٧٧.

وتختفي تلك البراغيث عن أنظارنا ... فما البراغيث الواخزة للإنسان ولا جراثيم الطَّاعون الدَّاخلة إلى جسمه من الوخزة غالبًا إلا أعداء لنا، منها ما لا نراه بالعين المجردة، ومنها ما يختفي"[٥٤٠].

وبالنَّظر في أقوال المتقدِّمين من العلماء، نجد أنَّ معظمهم لم يحددوا سبب حدوث مرض الطَّاعون، إلا النزر اليسر منهم، مثل ابن حجر، حيث قال في كتابه ملخصًا سبب مرض الطَّاعون: "... إنَّ حقيقته – يعني الطَّاعون – ورم ينشأ عن هيجان الدم، أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده ..."[٥٤١]، وقد نقل أيضًا قول ابن سينا عن الطَّاعون وسبب حدوثه، وهو القول نفسه الذي نقله ابن قيِّم الجوزيَّة في كتابه كما تقدَّم. وكذلك قال الغزالي: "هو انتفاخ جميع البدن من الدَّم مع الحُمَّى، أو انصباب الدم إلى بعض الأطراف، ينتفخ ويحمر، وقد يذهب ذلك العضو"[٥٤٢].

وبالإضافة إلى ذلك، بيّن المعاصرون من العلماء أنَّ مرض الطَّاعون يحدث بالبراغيث الحاملة للجراثيم، كما قال الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني: "الطَّاعون مرض إنتاني وبائي، عامله جرثومة بشكل عصيّة ... وكان يأتي بشكل جائحات ... وهو يصيب الفئران عادةً، ثم تنتقل جراثيمه منها إلى الإنسان بواسطة البراغيث، فتصيب العُقد البلغميَّة (الغدد البلغميَّة) في الآباط، والمغابن، والمراقّ، فتتورم وتنتبج، ثم تتقرَّح فتصبح كالدمامل، وقد يصيب الرئتين مع العقد البلغميَّة أو بدونها، فيصبح خطرًا جدًا"[٥٤٣]. وعلاوة على ذلك، وافق الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني ما رجّحه الدّكتور النَّسيمي في المعنى المجازي لوخز

---

[٥٤٠] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٢. ص. ٣٩٠.

[٥٤١] العسقلاني. ١٣٧٩. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ١٠. ص. ١٨٠، ١٨١.

[٥٤٢] المصدر نفسه. ج. ١٠. ص. ١٨٠.

[٥٤٣] الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبِّيَّة في الإسلام*. ص. ٤٨.

الجنّ الذي يعد سببًا لمرض الطَّاعون، وأكّد أنَّ الشَّيخ محمَّد رشيد رضا كان مؤيّدًا لهذا المعنى قبل الدّكتور النَّسيمي، ومن معه من المعاصرين، ثم ساق كلام الشَّيخ محمَّد رشيد رضا تأكيدًا لقوله[٥٤٤]، وقد أيّده أيضًا أيضًا الشَّيخ محمَّد الغزالي في كتابه[٥٤٥]. وقد أكد الطِّبّ المعاصر أنَّ الطَّاعون (Plague) مرض أصله قارض (Rodent)، وبراغيثه، أوصله إلى النَّاس عن طريق لدغة البراغيث، وهو ثلاثة أشكال: دُمّلي (Bubonic)، الذي يعدي الجهاز اللمفي، وإنتان الدم (Septicemic) الذي يعدي مجرى الدم، ورئوي (Pneumonic) يعدي رئة الإنسان، وقد يعدي من إنسان إلى آخر من خلال قطرة الهواء، أو غيرها من المواد الملوثة[٥٤٦].

والخلاصة أنه لا تعارض بين المتقدمين والمعاصرين، حيث حدّد المتقدمون من العلماء سبب حدوث مرض الطَّاعون بأنه ناتج عن انصباب الدم، أو هيجانه (Blood effusion)، ولم يكتشفوا ما وراء هذا الانصباب، ولكن الطِّبّ المعاصر أكّد بأن ما يحدث من الانصباب والورم كان نتيجة عن العامل الجرثومي بشكل العصيَّة المسماة بعصيَّة بيرسين، الذي ينتقل إلى الإنسان عن طريق براغيث القارض ولدغتها. وبالإضافة إلى ذلك، حدّد المتقدمون مثل ابن قيّم الجوزيَّة أنَّ الحديثين المذكورين في بداية النقاش يدلان على أنَّ للأرواح تأثيرًا في جسم الإنسان، وبرجزها أو وخزها يؤذي الإنسان ويفسد جسمه، ثم جاء المعاصرون من العلماء بوضع المعنى المجازي لهذا الوخز الصَّادر من الجنّ، وقالوا أنَّ المراد

---

[٥٤٤] انظر: الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبِّيَّة في الإسلام*. ص. ٤٩، ٥٠. وانظر: رضا، محمَّد رشيد بن علي. ١٩٩٠. *تفسير المنار*. مصر: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب. ج. ٣. ص. ٨٠، ٨١.

[٥٤٥] انظر: الغزالي، محمَّد . د.ت. *السُّنَّة النَّبويَّة بين أهل الفقه وأهل الحديث*. القاهرة: دار الشروق. ص. ١١٨.

[٥٤٦] منظمة الصِّحيَّة العالميَّة. ٢٠٠٠. WHO Report on Global Surveillance of Epidemic-prone Infectious Diseases (Plague). جينيوا: منظمة الصِّحيَّة العالميَّة. ص. ٢٥.

بالجنّ هنا هو خفي عن الإنسان، فهو حينئذ يمكن أن يكون الجراثيم والبراغيث الحاملة لها، لخفائها عن أنظار الإنسان. وبناءً على ما سبق، لوحظ دور تطوُّر علم الطِّبّ وأثره في توسيع معاني الحديث .

المبحث الثَّاني: الآثار في محور الطِّبّ العلاجي

مرَّ سابقًا ذكر الأمثلة الكثيرة في إبراز مدى تأثير تطوُّر علم الطِّبّ في كيفيَّة تناول العلماء لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ المتعلِّقة بالطِّبّ الوقائي، كمحور مستقل من محاور الطِّبّ النَّبويّ. ومع ذلك، فإنَّ الطِّبّ النَّبويّ لا يتوقف عند الوقاية من الأمراض قبل حدوثها فقط، ولكنه تجاوز ذلك بإيراد محور مستقل جديد، وهو الطِّبّ النَّبويّ العلاجي، لأنَّ الإنسان لا يستطيع وقاية نفسه دائمًا، وقد يكون مصابًا بالأمراض أيضًا، لأنَّ الفرار من الأمراض طوال الحياة مستحيل، بل إنَّ الأمراض في الحقيقة من المصائب التي تكفّر سيئات من أصيب بها، كما قال الرَّسُول ﷺ: "مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا"[٥٤٧]، وقوله ﷺ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ"[٥٤٨]، وكذلك فإنَّ الأمراض تجعل الإنسان مثمّنًا لنعمة الصِّحَّة، لأنَّه بدونها يفوت الإنسان الكثير من الأمور التي تنفعه، إما لدنياه كالأعمال،

---

[٥٤٧] البخاري. ٢٠٠٢. *صحيح البخاري*. كتاب المرضى. باب ما جاء في كفارة المرض. ج. ٧: ١١٤. رقم الحديث ٥٦٤٠. ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند النِّساء. مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها. ج. ٤١: ١٢١. رقم الحديث ٢٤٥٧٣.

[٥٤٨] البخاري. ٢٠٠٢. *صحيح البخاري*. كتاب المرضى. باب ما جاء في كفارة المرض. ج. ٧: ١١٤. رقم الحديث ٥٦٤١، ٥٦٤٢. ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند المكثرين من الصَّحابة. مسند أبي هريرة رضي الله عنه. ج. ١٤: ١٤٧. رقم الحديث ٨٤٢٤.

والوظائف، أو لآخرته كالصيام، ونحوه، وقد صحّ مما قاله الرَّسُول ﷺ عن نعمة الصِّحَّة: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"[٥٤٩].

وبالتالي، يحتاج الإنسان إلى الوسائل العلاجيَّة لعلاج نفسه بعد أن أصيب بمرض من الأمراض المؤذية، ولذلك جاء الرَّسُول ﷺ ببعض توجيهات طبيَّة من خلال أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، لإرشاد الإنسان في شؤون الأدواء وعلاجها، وكذلك توصيف الأدوية المناسبة لها، وهو ﷺ حثَّ المسلمين على التَّداوي والاستشفاء، بل إنه ﷺ أيضًا عالج نفسه إذا أصيب بالمرض، أو عالجه غيره أحيانًا، ليدل النَّاس على مشروعيَّة اتخاذ أي وسيلة علاجيَّة، ما دامت محصورة في نطاق أمور أذنها الشَّرع الإسلامي، كما قال الرَّسُول ﷺ: "إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ"[٥٥٠].

ووضَّح العلماء في العُصُور المختلفة محتوى الطِّبّ العلاجي الوارد في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، من خلال كتبهم المتعلِّقة بالطِّبّ النَّبويّ، ومن بينهم ابن قيّم الجوزيَّة والنَّسيمي، وسوف يجعل الباحث كتابيهما كنموذج الدِّراسة، لإبراز تأثير علم الطِّبّ في العصرين المختلفين على كيفيَّة تعامل هذين العالمين مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المتعلِّقة بالطِّبّ العلاجي، من خلال الإتيان بالأمثلة العديدة المأخوذة من كتابيهما.

---

[٥٤٩] البخاري. ٢٠٠٢. *صحيح البخاري*. كتاب الرقاق. باب ما جاء في الرقاق، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة. ج. ٨: ٨٨. رقم الحديث ٦٤١٢. التِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. كتاب الزهد. باب الصِّحَّة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من النَّاس. ج. ٤: ٥٥٠. رقم الحديث ٢٣٠٤. قال التِّرمذي: هذا حديث حسن صحيح. ابن ماجه. ٢٠٠٩. *سنن ابن ماجه*. كتاب الزهد. باب الحكمة. ج. ٥: ٢٧٠. رقم الحديث ٤١٧٠. ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. ومن مسند بني هاشم. مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النَّبيّ ﷺ. ج. ٥: ٢٧٧، ٢٧٨. رقم الحديث ٣٢٠٧.

[٥٥٠] تقدم تخريجه.

المطلب الأوَّل: أثر تطوُّر علم الطِّبّ في توصيف الأدواء

إن من أهم طرق علاج الأمراض قبل إيجاب الأطبَّاء تناول أدوية معيَّنة، أو اتخاذ وسائل معيَّنة، هي معرفة المرض نفسه، وهو يتحقق من خلال عملية التَّشخيص (Diagnosis) المعروفة لدى الأطبَّاء لإثبات نوع الأمراض التي أصيب بها المريض، وهي تُعرّف في الطِّبّ كـ "عملية فكريَّة تقوم على تحديد الأعراض وترتيبها، ومقارنتها بغيرها من الحالات، وقياسها على النظريَّات الطِّبِيَّة الحديثة، لأجل الوصول إلى تحديد المرض، ومكامنه، وأسبابه"[٥٥١].

وبالنظر في كتب ومؤلفات الطِّبّ النَّبويّ، نجد أنَّ مؤلفيها حاولوا توصيف الأمراض المذكورة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، بناءً على ما وصل إليه علم الطِّبّ السَّائد في عصورهم، من معارف، واكتشافات. ولا شكَّ أنَّ علم الطِّبّ المتطوِّر من زمان إلى آخر ساعد العلماء في الكشف عن أمراض معيَّنة، وأسباب حدوثها، وأعراضها، وأنواعها، قبل الانتقال إلى الأدوية أو الوسائل العلاجيَّة المناسبة لها، ولذلك يدرج الباحث قضيَّة توصيف الأدواء أو الأمراض في مجال الطِّبّ النَّبويّ العلاجي، لأنها تعدُّ أهم طرق علاجيَّة، وأقدمها، لأنَّ لكل مرض أصيب به الإنسان خصائصه، ونوعيته الخاصَّة، فالعلاج يجب إنَّ يكون في نطاق هذه الخصائص والنوعيَّة، حتى لا يجر إلى أضرار أخرى، أو علل أفسد من ذاك المرض.

---

[٥٥١] شفيق، حادي. ٢٠١٨. *المسؤولية المدنية عن الخطأ في التَّشخيص الطِّبّي – دراسة مقارنة –* . الجزائر: جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس. ص. ٢.

وعلاوة على ذلك، فإنَّ ابن قيِّم الجوزيَّة والدّكتور النَّسيمي كانا من العلماء البارزين الذين ناقشوا قضيَّة توصيف الأدواء أو الأمراض المذكورة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، في كتابيهما، وسوف يذكر الباحث بعض الأمثلة من كتابيهما لتوضيح قصد الباحث، وللنظر في مدى تأثير علم الطِّبّ على أسلوب العلماء في توصيف الأدواء أو الأمراض، وهي كالآتي:

١. توصيف مرض الطَّاعون:

قالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: "لَا تَفْنَى أُمَّتِي إِلَّا بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الطَّاعُونُ؟ قَالَ: " غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ، الْمُقِيمُ بِهَا كَالشَّهِيدِ، وَالْفَارُّ مِنْهَا كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ"[٥٥٢].

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

قام ابن قيِّم الجوزيَّة بتوصيف الطَّاعون في كتابه، حيث قال: "الطَّاعون – من حيث اللُّغة – :نوع من الوباء ... وهو عند أهل الطِّبّ: ورم رديء قتّال يخرج معه تلهُّب شديد مؤلم جدًّا يتجاوز المقدار في ذلك، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر أو أكمد، ويؤول أمره إلى التقرُّح سريعًا، وفي الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع: في الإبط، وخلف الأذن، والأرنبة، وفي اللحوم الرخوة"[٥٥٣]، فجمع في كلامه الأعراض والدَّلائل التي من خلالها يشخّص المريض بالإصابة بالعدوى المؤذية، وهذا الكلام منقول

---

[٥٥٢] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند النِّساء. مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عنها. ج. ٤٢: ٥٣. رقم الحديث ٢٥١١٨. وصحّحه شهاب الدين البوصيري. انظر: البوصيري، أحمد بن أبي بكر. ١٩٩٩. *إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة*. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم وآخرون. الرياض: دار الوطن. ج. ٢: ٤٢٦. رقم الحديث ١٨٢٦.

[٥٥٣] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٣٠.

عن علاء الدِّين الكحَّال، ولم ينسبه ابن قيِّم الجوزيَّة إلى علاء الدِّين الكحَّال، ولم يغير ترتيب كلامه إلا بعض الكلمات البسيطة[٥٥٤].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

أما الدّكتور النَّسيمي في توصيفه لمرض الطَّاعون، فإنه جاء بأشكال سريرية شوهدت في عدوى الطَّاعون، وهي ثلاثة[٥٥٥]:

– الطَّاعون الدبلي، أو الطَّاعون الدُمّلي، أو الطَّاعون الغدي (Bubonic Plague) الذي يتصف بتضخم العقد اللمفيَّة (Lymphadenopathy) في الإبط، أو في الرقبة، وقد يرافقه الحُمَّى والتوعُّك. ولعلَّ هذا الشَّكل هو الذي صوّره الرَّسُول ﷺ في الحديث السَّابق[٥٥٦]، وكذلك حديث رواه الهيثمي أنَّ الرَّسُول ﷺ وصف الطَّاعون بوضوح، حيث قال ﷺ: "يُشْبِهُ الدُّمَّلَ يَخْرُجُ فِي الْآبَاطِ وَالْمَرَاقِ وَفِيهِ تَزْكِيَةُ أَعْمَالِهِمْ وَهُوَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ شَهَادَةٌ"[٥٥٧]. وبهذا الشَّكل أيضًا وصف ابن قيِّم الجوزيَّة مرض الطَّاعون، كما مرَّ في كلامه السَّابق.

– الطَّاعون الإنتاني الدموي (Septicaemic Plague)، الذي قد يكون ثانويًا للطَّاعون الدبلي، أو مستقلًا بدون دبل (Bubo).

---

[٥٥٤] انظر: الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ٣٠.

[٥٥٥] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٢. ص. ٣٢٨.

[٥٥٦] انظر: ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند النِّساء. مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عنها. ج. ٤٢: ٥٣. رقم الحديث ٢٥١١٨. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: إسناده جيد.

[٥٥٧] الهيثمي، علي بن أبي بكر. ١٩٩٤. *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. تحقيق: حسام الدّين القدسي. القاهرة: مكتبة القدسي. كتاب الجنائز. باب في الطَّاعون والثَّابت فيه والفار منه. ج. ٢: ٣١٥. رقم الحديث ٣٨٦٩. وحسّنه الهيثمي.

- الطَّاعون الرئوي (Pneumonic Plague)، وهو أشد نوع من أنواع الطَّاعون، لأنه يصيب جميع أطراف الرئة، والذي يؤدي إلى الموت في مدة قصيرة جدًا.

وإذا نظرنا في ما كتبه المتقدمون من العلماء، نجد أنهم وصفوا مرض الطَّاعون بما وصفه ابن قيِّم الجوزيَّة، فالطَّاعون قديمًا اسم لمرض مؤذٍ بشكل الورم، يحدث في بعض مواضع في جسم الإنسان، مثل الإبط، والرقبة، وغيرهما. قال ابن عبد البر: "الطَّاعون: غدَّة تخرج في المراق والآباط، وقد تخرج في الأيدي والأصابع وحيث شاء الله"[٥٥٨]، وقال النَّووي: "... وأما الطَّاعون فهو قروح تخرج في الجسد، فتكون في المرافق، أو الآباط، أو الأيدي، أو الأصابع، وسائر البدن، ويكون معه ورم وألم شديد، وتخرج تلك القروح مع لهيب، ويسود ما حواليه أو يخضر، أو يحمر حمرة بنفسجيَّة كدرة، ويحصل معه خفقان القلب والقيء ..."[٥٥٩].

أما المعاصرون من العلماء والأطبَّاء، فإنهم اعترفوا بما حدده المتقدمون من توصيفات لمرض الطَّاعون، إلا أنهم أكدوا أنَّ توصيف مرض الطَّاعون عند المتقدِّمين يشمل جزءًا واحدًا لهذا المرض فقط، وهو الطَّاعون الدملي (Bubonic plague) الذي يعدي الجهاز اللمفي للإنسان، فتتورم بعض الأعضاء كالأربية (Groin)، وغيرها. وقد مرَّ من قبل بيان الشَّكلين الآخرين للطَّاعون، وهما طاعون إنتان الدم (Septicaemic Plague)، والطَّاعون الرئوي (Pneumonic Plague) ذكرهما

---

[٥٥٨] العسقلاني. ١٣٧٩. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ١٠. ص. ١٨٠.

[٥٥٩] النووي. ١٣٩٢. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج*. ج. ١٤. ص. ٢٠٤.

الطِّبّ المعاصر، فضلًا عن الطَّاعون الدملي (Bubonic plague)، فهذان الشَّكلان يعدَّان من زيادات الطِّبّ المعاصر على الطِّبّ القديم.

والجدير بالذكر أنَّ الحديث الذي ذكرنا آنفًا أشار إلى التبشير النَّبويّ لمن توفى بمرض الطَّاعون بأنه يعدُّ شهيدًا، وبناءً على توصيف الرَّسُول ﷺ، رجّحنا أنَّ الطَّاعون الدملي (Bubonic plague) هو أقرب أوصاف لمرض الطَّاعون الذي ذُكر في الحديث، وبالتالي، يُعدُّ من توفى بهذا النوع من الطَّاعون شهيدًا بإذن الله تعالى. وقد تقدَّم ذكر النَّوعين الآخرين من الطَّاعون، وهما طاعون إنتان الدم (Septicaemic Plague)، والطَّاعون الرئوي (Pneumonic Plague) اللذين يعدان من زيادات الطِّبّ المعاصر، ويرى الباحث أنَّ الذي توفى بهذين النوعين من الطَّاعون يعدُّ شهيدًا أيضًا بإذن الله تعالى، وذلك لسببين آتيين:

أوَّلًا: اتحاد السبب لهذه الأنواع الثَّلاثة من الطَّاعون، كما تقدم ذكره آنفًا، وهو البراغيث الحاملة للجراثيم العصويَّة المعروفة بـ (عصيَّات يه رسن).

ثانيًا: تعدُّ هذه الأنواع الثَّلاثة المراحل المتتابعة لمرض الطَّاعون، وقد نصَّ الدّكتور النَّسيمي آنفًا على أنَّ طاعون إنتان الدم (Septicaemic Plague) يُعدُّ ثانويًا (secondary) للطَّاعون الدملي (Bubonic plague)، حيث يمكن القول إنَّ الطَّاعون الدملي إذا لم يعالَج سوف يشتد أذاه، ويصبح طاعون إنتان الدم، وأشدّ من ذلك يصبح أخطر مراحل هذا المرض، وهو الطَّاعون الرئوي. وإذا كان الطَّاعون الدملي الذي يعد أخف الطَّاعون خطورةً يجعل من توفى به شهيدًا، فالنَّوعان الآخران اللذان يعدَّان أخطر منها سوف يجعلان من توفى بهما شهيدًا من باب أولى، والله أعلم بالصواب.

والذي يراه الباحث إنَّ الرَّسُول ﷺ ذكر نوعًا واحدًا من الأنواع الثَّلاثة لمرض الطَّاعون، على سبيل التمثيل، وليس التحديد، فالرَّسُول ﷺ كان مكتفيًا بذكر واحد منها فقط قدو يكون السبب الطَّاقة المحدودة لعلم الطِّبّ في عصره ﷺ، ولا سيما لاكتشاف طاعون إنتان الدم، والطَّاعون الرئوي، لأنَّ العدوى فيهما تكون في مجرى الدم لطاعون إنتان الدم، وفي الرئتين للطَّاعون الرئوي، ومن المستحيل إنَّ يكتشفها الإنسان بالعين المجردة. أما الطَّاعون الدملي، فإنَّ وصفه يكون ظاهرًا على بعض أعضاء جسم الإنسان، وبالتالي يكون كالطَّاعون الذي توعد من توفى به بالشَّهادة.

ويخلص الباحث إلى أنَّ الطِّبّ المعاصر يؤثر في **تأكيد فهم الحديث**، حيث أكّد أنَّ الذي وصّفه الرَّسُول ﷺ من مرض الطَّاعون هو النوع الأوَّل منه، وهو الطَّاعون الدملي، وكذلك يؤثر **في توسيع معاني الحديث**، حيث زاد على وصف الرَّسُول ﷺ، ووصف المتقدِّمين من العلماء لمرض الطَّاعون، وأثبت أنَّ من توفى بهما يعدُّ شهيدًا أيضًا بإذن الله تعالى، كالنوع الأوَّل من مرض الطَّاعون.

المطلب الثَّاني: أثر تطوُّر علم الطِّبّ في تحديد قدرة الأدوية العلاجيَّة

وردت في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ الأطعمة أو الوسائل المختلفة لعلاج مرض معين بعد أن أصيب ﷺ، أو من حوله بمرض من الأمراض. وكل الأمراض الواردة في أحاديثه ﷺ، مقترنة ﷺ بطرق علاجها، إما بتناول أدوية معيَّنة، أو باتخاذ الوسائل العلاجيَّة المناسبة، من أجل علاج هذه الأمراض، وعودة الصِّحَّة إلى جسم الإنسان. وقد وردت أدوية كثيرة في الأحاديث، مثل، العسل، والحبَّة السَّوداء، والسَّنا، والحنَّاء، والذريرة، وغيرها، وكذلك الوسائل العلاجيَّة المختلفة مثل الحجامة، والكي، والفصد، والتكميد، ونحوها.

وعلاوة على ذلك، فإنَّ هذه الأدوية والوسائل تأخذ أدوارًا مختلفة في علاج الأمراض، لأنَّ كل مرض جاء من أسباب متعددة، ولذلك يحتاج إلى أدوية ووسائل مختلفة لعلاجه.

وسوف يقوم الباحث في هذا المقام بإبراز تأثير علم الطِّبّ المتطوُّر في كيفيَّة تناول العلماء لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ في الكشف عن مدى قدرة الأدوية أو الوسائل العلاجيَّة، في معالجة الأمراض المختلفة، ولذلك سيستعين الباحث بكتابي ابن قيِّم الجوزيَّة، والدّكتور النَّسيمي، لتوضيح مقصده، والإتيان بأمثلة مناسبة منهما.

١. قدرة العسل في علاج الإسهال:

عن أبي سعيد الخدري، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: "اسْقِهِ عَسَلًا"، ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ: "اسْقِهِ عَسَلًا"، ثُمَّ أَتَاهُ، فَقَالَ: فَعَلْتُ، فَقَالَ: "صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا"، فَسَقَاهُ فَبَرَأَ[٥٦٠]. وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: " إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ"، وقوله بعد السقي الأوَّل: "إِنِّي سَقَيْتُهُ، فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا"[٥٦١].

---

[٥٦٠] البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب الطِّبّ. باب الدَّواء بالعسل. ج. ٧: ١٢٣. رقم الحديث ٥٦٨٤. وباب دواء المبطون. ج. ٧: ١٢٨. رقم الحديث ٥٧١٦. ومسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب التَّداوي بسقي العسل. ج. ٤: ١٧٣٦. رقم الحديث ٩١(٢٢١٧). والتِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. أبواب الطِّبّ. باب ما جاء في التَّداوي بالعسل. ج. ٤: ٤٠٩. رقم الحديث ٢٠٨٢. قال التِّرمذي: هذا حديث حسن صحيح. وابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند المكثرين من الصَّحابة. مسند أبي سعيد الخدري. ج. ١٧: ٢٣٣، ٢٣٤. رقم الحديث ١١١٤٦. و ج. ١٨: ٣٧٥، ٣٧٦. رقم الحديث ١١٨٧١.

[٥٦١] البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب الطِّبّ. باب دواء المبطون. ج. ٧: ١٢٨. رقم الحديث ٥٧١٦.

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

ذكر ابن قيِّم الجوزيَّة الحديث، وناقشه في "فصل في هديه ﷺ في علاج استطلاق البطن"، وأكَّد أن استطلاق البطن الذي أصابه هذا الصَّحابي هو نتيجة تخمة، فالعسل نافع في دفع الفضول المجتمعة في المعدة، وفي دفع أخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء في المعدة. وبالإضافة إلى ذلك، أكَّد أيضًا أنَّ أمر الرَّسُول ﷺ في تكرار السَّقي يدل على أنَّ كمية الدَّواء يجب أن تكون مناسبة لحال الدَّاء. قال ابن قيِّم الجوزيَّة: "... فلما أخبره علم أنَّ الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده إلى النَّبيّ ﷺ أكَّد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الدَّاء برأ بإذن الله. واعتبار مقادير الأدوية، وكيفيتها، ومقدار قوَّة المرض مرضًا من أكبر قواعد الطِّبّ"[٥٦٢]. ومعظم ما تناوله ابن القيم من توجيهات طبيَّة في هذا الموضوع أيضًا منقول عن علاء الدِّين الكحَّال في كتابه، وإن لم يشر إليه صراحةً، ولم يغير كلام علاء الدِّين الكحَّال إلا كلمات بسيطة، وغير ترتيب الكلام من حيث التقديم والتأخير[٥٦٣].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

أما الدّكتور النَّسيمي، فإنه أورد الحديث، وناقشه في باب "الاستشفاء بالعسل"، ضمن نقطة "العسل دواء ملين"، حيث تساءل عن فاعليَّة العسل الملين والمسهل في علاج بعض أنواع الإسهالات، ثم أجاب: "نعم يعطي مسهلاً في بعض أنواع الإسهالات، وتسمى خُطَّة المداواة حينئذ بالمداواة المثلية، وللعسل ميزة

---

[٥٦٢] انظر: الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢٨، ٢٩.

[٥٦٣] الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ٢٥-٢٩.

على غيره من المسهلات في تلك الأنواع ..."، وبعد ذلك رجَّح أنَّ الصَّحابي الذي استطلق بطنه كان لسبب تخمة، ولذلك العسل يعدُّ من أنفع الدَّواء لها. قال الدّكتور النَّسيمي: "فبالرجوع إلى أمراض جهاز الهضم، وإلى فنّ المداواة، ومحاولة التَّشخيص المتأخر الرَّاجع إلى تلك الحادثة، أرجِّح – والله أعلم – أنَّ ذلك الرجل الذي استطلق بطنه، وأمره رسول الله ﷺ بشرب العسل، كان إسهاله ناتجًا عن تخمة أو عن عفونة خفيفة بتكاثر جراثيم الأمعاء مثلًا. وفي كلتا الحالتين يوافق الطِّبّ الحديث على إعطاء مسهل وملين"[٥٦٤].

وبالنَّظر فيما كتبه المتقدِّمون من العلماء والأطبَّاء، لاحظ الباحث موافقة محتوى أقوالهم مع ما نصه ابن قيِّم الجوزيَّة في كتابه، فيما يتعلَّق بفاعليَّة العسل في علاج الإسهال النَّاتج عن التخمة والهيضة، وأنَّ كميَّة الدَّواء لا بد أنم تكون مناسبة، للتخلص من المرض بالكليَّة. قال المازري: "... فينبغي أن تعلم أنَّ الإسهال يعرض من ضروب كثيرة ... منها الإسهال الحادث من التخم والهيضات، والأطبَّاء مجمعون في مثل هذا على أنَّ علاجه بأن تترك الطَّبيعة وفعلها، وإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية، فأما حبسها فضرر عندهم، واستعجال مرض، فإذا وضح هذا، قلنا يمكن أن يكون هذا الذي أصابه الإسهال، أصابه من امتلاء وهيضة ... فدواؤه تركه والإسهال أو تقويته، فأمره ﷺ بشرب العسل، فزاده فزاد منه فزاده إلى إنَّ فنيت المادَّة، فوقف الإسهال ..."[٥٦٥]. قال علاء الدِّين

---

[٥٦٤] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٧٦.

[٥٦٥] المازري. ١٩٨٨. *المعلم بفوائد مسلم*. ج. ٣. ص. ١٦٩، ١٧٠.

الكحَّال: "... وفي تكرار سقيه للعسل، معنى طبي، وهو إنَّ كل دواء يجب إنَّ يكون له مقدار ما عند تناوله، لا يؤثر أقل من ذلك المقدار ..."[٥٦٦].

أما المعاصرون من العلماء والأطبَّاء، فإنهم أكّدوا ما قاله المتقدمون، وكذلك ما قاله الدّكتور النَّسيمي في كتابه، حيث ذكروا بعض بيانات طبيَّة معاصرة، ومكتشفات حديثة في تأييد نفع العسل في علاج مرض الإسهال. قال الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني: "... والإسهال إما إنَّ ينشأ عن تخمة، أو عن جراثيم أو طفيليات، والعسل علاج ناجع لهذه الأشياء جميعها ... والعسل مليّن للأمعاء، ومسهّل إذا أُخذ بكميات كبيرة، وخاصَّة إذا شُنّ في الماء، لذلك فهو ينكس الأمعاء وينظفها من الفضلات، وهو في الوقت نفسه مطهر يقضي على الجراثيم والطفيليات ..."[٥٦٧]. وذكر الدّكتور حسان باشا ناقلًا عن اختبار قام به الغربيون، حيث أجروا دراسة على ١٦٩ طفلًا مصابًا بالتهاب المعدَّة والأمعاء، وأُعطي ثمانون منهم المحلول العادي مع خمسين ملغم من العسل، وظهرت نتيجة الدِّراسة أنَّ الإسهال استمر في مدة أكثر للذين لم يعطوا العسل، حيث استمر ٩٣ ساعة، حينما استمر بمدة أقصر، وهو ٥٨ ساعة للذين أعطوا العسل[٥٦٨]. وعلاوة على ذلك، أكد الطِّبّ الحديث نفع إضافة العسل في أملاح الإمهاء الفموي (Oral rehydration solution – ORS) لعلاج التهاب المعدَّة عند الأطفال،

---

[٥٦٦] الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ٢٨.

[٥٦٧] الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبيَّة في الإسلام*. ص. ٣٣١.

[٥٦٨] انظر: باشا. ٢٠٠٨. *الطِّبّ النَّبويّ بين العلم والإعجاز*. ص. ١١٩.

ونفعه في إنقاص تردد الإسهال البكتيري واللابكتيري[٥٦٩]. فتطوُّر علم الطِّبّ يؤثر في تأكيد فهم الحديث، حيث يؤدي دورًا مؤكداً لما نصه الطِّبّ القديم في ما يتعلَّق بقدرة العسل في علاج مرض الإسهال.

٢. علاج لدغة العقرب بالملح: عن علي رضي الله قال: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ يُصَلِّي، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ، فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ، فَتَنَاوَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَعْلِهِ فَقَتَلَهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: "لَعَنَ اللَّهُ الْعَقْرَبَ، لَا تَدَعُ مُصَلِّيًا وَلَا غَيْرَهُ، أَوْ نَبِيًّا وَلَا غَيْرَهُ إِلَّا لَدَغَتْهُمْ"، ثُمَّ دَعَا بِمِلْحٍ وَمَاءٍ، فَجَعَلَهُ فِي إِنَاءٍ، ثُمَّ جَعَلَ يَصُبُّهُ عَلَى إِصْبَعِهِ حَيْثُ لَدَغَتْهُ، وَيَمْسَحُهَا، وَيُعَوِّذُهَا بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ[٥٧٠].

رأي ابن قيّم الجوزيَّة:

ذكر ابن قيّم الجوزيَّة الحديث، وشرح محتواه في فصل "في هديه ﷺ في علاج لدغة العقرب بالرقية"، وأكّد ابن قيّم الجوزيَّة كما هو واضح في الحديث أنَّ الرَّسُول ﷺ ضمَّ بين الدَّواء الطِّبّيعي، والدَّواء الإلهي في علاج لدغة العقرب. أما السُّوَر التي تُقرأ كالرقى، فإنها تتضمَّن الاستعاذة من كل مكروه جملةً وتفصيلًا، وأما الملح كالدَّواء الطِّبّيعي، فإنَّ فيه القوة الجاذبة ليجذب السموم ويحللها. ثم لخص فوائد هذين النوعين من الأدوية في قوله: "واعلم أنَّ الأدوية الطِّبّيعية الإلهية تنفع من الدَّاء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعًا مضرًا، وإن كان مؤذيًا، والأدوية الطِّبّيعية إنما تنفع بعد حصول الدَّاء

---

[٥٦٩] لوه، كريستي إي مانيي. ٢٠١١. " An overview of honey: Therapeutic properties and contribution in nutrition and human health". *African Journal of Microbiology Research*. ج. ٥. عدد (٨): أبريل. ص. ٨٤٩.

[٥٧٠] ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمَّد أبو بكر. ١٤٠٩. *مصنف ابن أبي شيبة*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. الرِّياض: مكتبة الرشد. كتاب الطِّبّ. في رقية العقرب ما هي. ج. ٥: ٤٤. رقم الحديث ٢٣٥٥٣. حسّنه الهيثمي في المجمع. انظر: الهيثمي. ١٩٩٤. *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. ج. ٥. ص. ١١١. رقم الحديث ٨٤٤٥.

... فالرقى والعُوذ تُستعمل لحفظ الصِّحَّة، ولإزالة المرض ..."[٥٧١]، حيث بيّن أنَّ للأدوية الإلهيَّة قوةً علاجيَّةً، وقوةً وقائيَّةً، أما الأدوية الطِّبّيعيَّة، فإنَّ لها قوةً علاجيَّةً فقط.

رأي الدّكتور النَّسيمي:

ذكر الدّكتور النَّسيمي الحديث في نقطة "معالجة لدغة العقرب بالرقية والملح معًا"، ونقل كلام المناوي في تأكيد جمع الرَّسُول ﷺ بين الدَّواء الإلهي والدَّواء الطِّبّيعي، ونقل كلام ابن سينا عن قوة الملح الجاذبة والمحللة لضرر السُّم، ولخَّص في آخره بقوله: "... فالحديث السَّابق يدل على أنَّ معرفة العرب لفائدة الملح في لدغة العقرب سابقة لعصر التَّرجمة"[٥٧٢].

وبالنَّظر في أقوال المتقدِّمين من العلماء، يتضح توافقهم مع ابن قيِّم الجوزيَّة. قال ابن رسلان: "ففي هذا الحديث، العلاج مركَّب من أمرين الإلهي والطِّبّيعي، فأمَّا العلاج الطِّبّيعي فإنَّ الملح فيه نفع كبير من السموم، ولا سيما لدغة العقرب، قال صاحب "القانون": يضمَّد به مع بذر الكتَّان للسع العقرب، وفي الملح من القوَّة الجاذبة المحللة ما يجذب السُّموم ويحللها، ولما كان في لسعتها قوة ناريَّة تحتاج إلى تبريد وجذب وإخراج، جمع بين الماء المبرد لنار اللسعة والملح الذي فيه جذب وإخراج، وهذا أتمُّ ما يكون من العلاج وأيسره وأسهله"[٥٧٣].

---

[٥٧١] انظر: الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ١٣٩، ١٤٠، ١٤١.

[٥٧٢] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ١٧٦، ١٧٧.

[٥٧٣] ابن رسلان، أحمد بن حسين. ٢٠١٦. *شرح سنن أبي داود*. تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط. مصر: دار الفلاح. ج. ١٥. ص. ٦٤٤.

وعلاوة على ذلك، لم يجد الباحث – حسب اطلاع الباحث المتواضع – أقوال المعاصرين من العلماء والأطبَّاء في إثبات فاعلية الملح لعلاج لدغة العقرب، بل الذي وجده هو تشنيع بعض المصادر الطِّبيَّة الحديثة لاستعمال المعالجات التقليديَّة في علاج لدغة الهامَّة السَّامة، وأكّدت بأنها غير معقولة ومضرَّة للمصابين بها[٥٧٤]. وأيدت أيضًا أنها غالبًا مما تسبب تأخر وصول العلاج المناسب للمصابين بها في في المستشفى بمدة ساعة أو ساعتين[٥٧٥]. وبالتالي حدّد الطِّبّ المعاصر أنَّ العلاج المناسب للدغة العقرب هو الدمج بين معالجات عرضيَّة (Symptomatic treatment)، ومعالجة مناعيَّة (Immunotherapy)[٥٧٦]. أما ما يتعلَّق بالرقى المذكورة في الحديث، فلا نزاع فيها عند المعاصرين من العلماء أنها من المعالجات الرُّوحية، وإذا كانت مقرنة بالمعالجات الدوائيَّة لكان أحسن، ولذلك قال الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني تعليقًا على هذا الحديث: "وقد جمع النَّبيّ ﷺ هنا بين الرقية والعلاج الدوائي ... وهذا يدلُّ على أفضليَّة الجمع بين العلاج الدوائي والعلاج الرُّوحي (بالرقى)"[٥٧٧].

والذي يراه الباحث، إنَّ علاج لدغة العقرب بالملح يعد من المعالجات التي بُنيت على اجتهاد الرَّسُول ﷺ. وقد تقدَّم الحديث في الفصل الثَّالث من البحث عن مجموعتين من أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، وهما الأحاديث التي تعتبر وحيًا من الله تعالى، وهي التي قسّمها الدّكتور محمَّد سليمان الأشقر إلى خمس

---

[٥٧٤] سماسو بن جوهاري. ٢٣ أغسطس ٢٠١٩. "Disengat serangga berbisa". *MyHEALTH* وزارة الصِّحَّة ماليزيا. http://www.myhealth.gov.my/disengat-serangga-berbisa/. التصفح في: ٧ يناير ٢٠٢٠.

[٥٧٥] انظر: فيليب، جين. ٢٠١٢. " Emerging options for the management of scorpion stings". *Institute of Research for Development and Paris Descartes University*. ج. ٦. يوليو. ص. ١٦٨.

[٥٧٦] انظر: المصدر نفسه. ص. ١٧٢.

[٥٧٧] الكيلاني.١٩٩٦. *الحقائق الطِّبيَّة في الإسلام*. ص. ٣٩٨، ٣٩٩.

فئات، بناءً على القرائن التي تدلُّ على أنها جاءت من قبل الوحي الربَّاني، والأحاديث التي تعدُّ من اجتهادات الرَّسُول ﷺ، وليست لها القرائن السَّابقة. ويتضح في هذا **الموضع أنَّ تغير علم الطِّبّ قد يكون دليلًا من الأدلَّة للتمييز بين الطرق العلاجيَّة المبنيَّة على الوحي، أو المبنيَّة على اجتهاد الرَّسُول** ﷺ والمقتطفة من المعالجات التقليديَّة في ذاك العصر. وبالتَّالي يمكن القول أن الرَّسُول ﷺ نصَّ على الملح كدواء هذا المرض لأنه مما توصل إليه الرَّسُول ﷺ في ذاك الزَّمان، ولذلك استعمله وقرنه بالرقى الواردة في حديثه ﷺ.

المطلب الثَّالث: أثر تطوُّر علم الطِّبّ في تحديد طرق تناول الأدوية أو اتخاذ الوسائل العلاجيَّة

تقدَّم الحديث عن الأدوية والوسائل العلاجيَّة الكثيرة التي أشار إليها الرَّسُول ﷺ في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المختلفة، ولكل هذه الأدوية والوسائل قدرتها الطِّبيَّة الخاصَّة في علاج الأمراض المؤذية، وهذا الأمر يدلُّ على أنَّ الرَّسُول ﷺ اهتمَّ بقضيَّة الصِّحَّة ومحاربة الأمراض، وقد يكون ﷺ عارفًا بهذه الأدوية والوسائل إما من معارف اكتسبها من أمم حوله ﷺ، أو قد يكون أيضًا من الوحي الرَّباني، الذي أوحاه الله تعالى إليه ﷺ، وهذا هو الذي تميّز به ﷺ عن غيره من الأطبَّاء والأمراء، حيث إنه ﷺ أرشد النَّاس بإرشادات الوحي المعصوم.

وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ الرَّسُول ﷺ لم يكتف بذكر هذه الأدوية والوسائل فحسب، ولكنه ﷺ أيضًا في بعض الأحيان علّم النَّاس طرق تناول هذه الأدوية المذكورة، أو كيفيَّات اتخاذ هذه الوسائل العلاجيَّة، حتى يعرف النَّاس ما ينفعهم لعلاج أمراضهم. وقد اهتمَّ بهذا الجانب علماء كثيرون، منهم ابن

قيِّم الجوزيَّة والدّكتور النَّسيمي، حيث نجد في كتابيهما ما يدلُّ على ذلك، وقد يستعينان بعُلُوم طبيَّة سائدة في عصرهما في توضيح طرق تناول الأدوية أو اتخاذ الوسائل الموجودة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، أو في زيادة ما وضّحه الرَّسُول ﷺ في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المختلفة، ويمكن تلخيص هذا الجانب وتوضيحه من خلال الأمثلة الآتية:

١. طرق تناول التَّمر:

عن سعد بن أبي وقَّاص، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ"[٥٧٨].

أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: "مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حِينَ يُصْبِحُ، لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّ حَتَّى يُمْسِيَ"[٥٧٩]، وأحمد في مسنده بلفظ: "... بَيْنَ لابَتَيِ الْمَدِينَةِ عَلَى الرِّيقِ، لَمْ يَضُرَّهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ شَيْءٌ حَتَّى يُمْسِيَ"[٥٨٠].

وظاهر الحديث أشار إلى إنَّ الرَّسُول ﷺ وضع أساسًا لطرق تناول الأدوية، حيث إنها كما ذكره الرَّسُول ﷺ تشمل ثلاثة أمور، وهي: نوعية الدَّواء، وعدده أو كميته، ووقت تناوله. وبالنَّظر في ما بيّنه الطِّبّ المعاصر، نجد أنَّ هذه الأمور الثَّلاثة وافقت ما حدّده الطِّبّ المعاصر، إذ إنَّ من مهمات الطَّبيب أن يراعي عدَّة أمور قبل كتابة وصفة طبيَّة (prescription)، مثل الوعي بنوعيَّة الدَّواء المناسب للداء

---

[٥٧٨] تقدَّم تخريجه.

[٥٧٩] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب الأشربة. باب فضل تمر المدينة. ج. ٣: ١٦١٨. رقم الحديث ١٥٤(٢٠٤٧).

[٥٨٠] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة. مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه. ج. ٣: ٥٢. رقم الحديث ١٤٤٢. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: حديث صحيح، رجاله رجال الشَّيخين، وفليح– وهو ابن سليمان– قد توبع.

وقوته، وجرعة الدَّواء (dosage)، ونحوها[٥٨١]. ومن جانب آخر، ينبغي للمريض أن يعي وقت تناوله للدواء، بناءً على توجيه الطَّبيب، وهو يشمل تردد تناوله، مثل مرة، أو مرتين يوميًّا، وكذلك يشمل توجيهاً خاصاً لتناول الدَّواء، مثل تناوله قبل الطَّعام أو بعده، أو تناوله عند الحاجة فقط، ونحوها[٥٨٢].

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

بيّن ابن قيِّم الجوزيَّة ما يتعلَّق بنوعيَّة التَّمر الذي ذكره الرَّسُول ﷺ في الحديث، وهي العجوة، في باب "ذكر شيء من الأدوية والأغذية المفردة التي جاءت على لسانه ﷺ"، ولا يتطرق إلى الحديث عن عدد تناولها، ولا عن وقت تناولها. قال ابن قيِّم الجوزيَّة: "... إنَّ هذا – يعني العجوة المذكورة في الحديث – هي عجوة المدينة، وهي أحد أصناف التَّمر بها، ومن أنفع تمر الحجاز على الإطلاق، وهو صنف كريم ملذّذ متين للجسم والقوة من ألين التَّمر وأطيبه، وألذّه ..."[٥٨٣]. وقال في موضع آخر: "... وهو مقو للكبد مليّن للطبع يزيد في الباه ... وهو من أكثر الثِّمار تغذيةً للبدن، بما فيه من الجوهر الحار الرَّطب، وأكله على الريق يقتل الدود، فإنه مع حرارته فيه قوَّة ترياقيَّة، فإذا أديم استعماله على الريق خفّف مادة الدود، وأضعفه وقلّله، أو قتله ..."[٥٨٤].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

---

[٥٨١] منظمة الصِّحيَّة العالميَّة. د.ت. Guide to Good Prescribing: A practical manual. جينيوا: منظمة الصِّحيَّة العالميَّة. ص. ٦٦-٦٨.

[٥٨٢] تيروانشكن، كوبو. ١٥ نوفمبر ٢٠١٣. "Pengambilan ubat yang betul". *MyHEALTH* وزارة الصِّحَّة ماليزيا. http://www.myhealth.gov.my/cara-pengambilan-ubat-ubatan-yang-betul/. التصفح في: ٣ فبراير ٢٠٢٠.

[٥٨٣] انظر: الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢٦٠.

[٥٨٤] انظر: المصدر نفسه. ص. ٢٢٤، ٢٢٥.

ذكر الدّكتور النَّسيمي ما يتعلَّق بوقت تناول التَّمر الوارد في الحديث في نقطة "التَّمر وقاية وترياق"، حيث قال: "أوصى الرَّسُول ﷺ أن يتناول الإنسان صباحًا سبع تمرات عجوة قبل الفطور، ليمتصَّ سكرها بسرعة، ويختزن قسم منه في الكبد، مما يساعده على تخريب السموم وتعديلها"[٥٨٥]. أما كلام الدّكتور النَّسيمي الآخر في هذا الموضوع، فإنه تناول ما يتعلَّق بنوعية التَّمر، وهي العجوة، ونفع التَّمر عمومًا، وأضاف في كلامه إنَّ التحديد النَّبويّ، من نوعيَّة، وعدد، ووقت تناول، قد يكون نافعًا في باب العمل بتوجيهات الرَّسُول ﷺ إيمانًا وتصديقًا[٥٨٦].

وإذا نظرنا في أقوال المتقدِّمين من العلماء، يرى الباحث أنهم اتجهوا إلى ثلاثة اتجاهات، أوَّلها: إنَّ تحديد النوعيَّة، والعدد خاص لنفع أهل زمانه ﷺ، وليس لغيرهم. قال المازري: "... ولو صحَّ أن يخرج لمنفعة التَّمر في السم وجه من جهة الطِّبّ، لم يقدر على إظهار وجه الاقتصار على هذا العدد الذي هو السَّبع، ولا على الاقتصار على هذا الجنس الذي هو العجوة، ولعلَّ ذلك كان لأهل زمانه ﷺ، خاصَّة أو لأكثرهم، إذ لم يثبت استمرار وقوع الشِّفاء في زماننا غالبًا ..."[٥٨٧]. ثانيها: إنَّ تحديد السَّبع كالعدد يفيد الكثرة، ولا يعني بعينه كالعدد، وقد استعمل هذا الاعتبار في مواطن كثيرة من آيات القُرآن والأحاديث. قال القرطبي: "وأما تخصيصه بسبع: فخاصيَّة لهذا العدد قطعًا، وقد جاء عن النَّبيّ ﷺ في مواطن كثيرة؛ منها: قوله ﷺ في مرضه: (صبوا عليَّ من سبع قرب)، ومنها: غسل الإناء من ولوغ الكلب سبعًا. ومنها: قوله للرَّجل المريض الذي وجهه للحارث بن كلدة وقال: (ليأخذ سبع تمرات، وليلده بهن) وتعويذه

---

[٥٨٥] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٢٩٥.

[٥٨٦] انظر: المصدر نفسه. ج٣. ص. ٢٩٢-٢٩٧.

[٥٨٧] المازري. ١٩٨٨. *المعلم بفوائد مسلم*. ج. ٣. ص. ١٢١.

سبع مرات. ومثله كثير"، وقال: "فقال بعض اللغويين: العرب تضع هذا العدد موضع الكثرة وإن لم تُرد عددًا بعينه، ولا حصرًا"[٥٨٨]. ثالثها: إنَّ تحديد العدد ونوعية التَّمر من الأمور التي لا يدرك سببها الإنسان. قال النَّووي: "... وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها وعدد السَّبع من الأمور التى علَّمها الشَّارع، ولانعلم نحن حكمتها، فيجب الإيمان بها، واعتقاد فضلها، والحكمة فيها، وهذا كأعداد الصَّلوات، ونصب الزكاة، وغيرها، فهذا هو الصَّواب في هذا الحديث ..."[٥٨٩]. قال القرطبي: "فما جاء من هذا العدد مجيء التَّداوي فذلك بخاصيَّة لا يعلمها إلا الله، ورسوله، ومن أطلعه الله عليها"[٥٩٠].

أما ما ذهب إليه المعاصرون من العلماء، فإنَّ أكثر تركيزهم على نوعية التَّمر، ونفعه الصّحي عمومًا، ولم يتحدثوا عمَّا يتعلَّق بالعدد أو وقت التناول الوارد في الحديث، وذهبوا إلى أنَّ هذا التَّحديد النَّبويّ جاء من قبل الرَّسُول ﷺ، والذي لا يعلم سببه إلا الله ورسوله ﷺ، وإذا عملنا به، فإنه من باب العمل بتوجيهات الرَّسُول ﷺ إيمانًا وتصديقًا، كما نصَّ الدّكتور النَّسيمي آنفًا. قال يوسف الحاج أحمد: "اعلم إنَّ الذي يتصبح بسبع تمرات إيمانًا وتصديقًا لنبيه ﷺ، فإنَّ يقينه بالله تعالى يزيد التجاءه إليه، وتوكله عليه يقوى، وبذلك تقوى معنوياته، وتزداد مقاومته الجسديَّة والنَّفسيَّة، فلا مجال للوساوس والمخاوف، وتوقع حدوث سحر يصيبه، أو دسّ سمّ من قبل عدو يكيد له"[٥٩١]. وقد ذكر الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني تحديد الرَّسُول ﷺ لنوع العجوة، لا غيرها، وفاعليتها في الدفاع عن السّم والسِّحر لبركة

---

[٥٨٨] القرطبي. ١٩٩٦. *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. ج. ٥. ص. ٣٢٢، ٣٢٣.

[٥٨٩] النووي. ١٣٩٢. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج*. ج. ١٤. ص. ٣.

[٥٩٠] القرطبي. ١٩٩٦. *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. ج. ٥. ص. ٣٢٣.

[٥٩١] الحاج أحمد. ٢٠٠٣. *موسوعة الإعجاز العلمي في القُرآن الكريم والسنة المطهرة*. ص. ٧٦٢.

دعاء الرَّسُول لأرض المدينة التي تنبت فيها العجوة، فضلًا عن نفعها الآخر صحيًّا، حيث قال: "... أما تمر المدينة المنوَّرة ... فيه بركة دعوة النَّبيّ ﷺ، وبركة جواره للنَّبي ﷺ في حياته وبعد وفاته، وقد يكون في تربة المدينة المنوَّرة التي يأخذ تمرها عناصره منها، ما ليس في غيرها من التُّرب ..."[٥٩٢].

ومن خلال اطلاع الباحث على الدراسات الطِّبيَّة الحديثة، وجد أنَّ الدِّراسة التي أجريت على اثنين وعشرين فرداً، من الذين تناولوا سبع تمرات يوميًّا لمدة واحد وعشرين يومًا، أنها أثَّرت في تحسين حركة الأمعاء (Bowel movements) لهؤلاء الأفراد[٥٩٣]، حيث أثبتت هذه الدِّراسة نفع تناول سبع تمرات لدى الجهاز الإخراجي (Excretory system)، ولم يجد الباحث أي دراسات حديثة أخرى تتعلَّق بسبع تمرات بالضبط، ولكن الذي يُكتشف هو نفع التَّمر عمومًا في محاربة السموم، غير مقيَّد بعدد معين[٥٩٤].

والذي يراه الباحث إنَّ أسلم اتجاهات هذا الموضوع هي الاتجاه الذي أكّد بأنَّ التحديد النَّبويّ من نوعيَّة، وعدد، ووقت تناول، المذكور في الحديث كان لخاصيَّة لا يعلمها إلا الله والرَّسُول ﷺ، كما ذكر بعض العلماء من المتقدِّمين والمعاصرين آنفًا، وإذا عملنا به، فإنه من باب العمل بالتَّوجيه النَّبويّ إيمانًا وتصديقًا، أما غير ذلك من أقوال وآراء، فإنها كما يرى الباحث تعدُّ محاولات مجردة للكشف عن

---

[٥٩٢] الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبيَّة في الإسلام*. ص. ٣٢٧.

[٥٩٣] نورا عيد وآخرون. ٢٠١٥. " Impact of palm date consumption on microbiota growth and large intestinal health: a randomised, controlled, cross-over, human intervention study". *British Journal of Nutrition*. ج. ١١٤. عدد (٨): أكتوبر. ص١٢٢٦.

[٥٩٤] رين سي روبن وآخرون. ٢٠١٤. " Nutritional, socioeconomic, and health benefits of dates". *International Journal of Food And Nutritional Sciences*. ج. ٣. عدد (٦): أكتوبر-ديسمبر. ص. ٦٣-٧٠.

مراد الرَّسُول ﷺ في حديثه ﷺ، ولا تعدّ أدلة راسخة تفصل بين ما صحَّ، وما لا يصحُّ من الآراء المتفرقة في الموضوع، والله أعلم.

وبناءً على ما سبق، يمكن تلخيص الموضوع من خلال النِّقاط الآتية:

أوَّلًا: إنَّ كلًّا من المتقدِّمين والمعاصرين من العلماء تناولوا ما يتعلَّق بنوعية التَّمر المذكورة في الحديث، مثل ما قام به ابن قيِّم الجوزيَّة في كتابه، وما قام به الدّكتور النَّسيمي، ومن معه من المعاصرين.

ثانيًا: إنَّ كلًّا من المتقدِّمين والمعاصرين ناقشوا ما يتعلَّق بعدد التَّمر الوارد في الحديث، مثل ما بيّنه المازري من أنَّ هذا العدد مختص بأهل زمانه ﷺ، ومثل ما ذكره القرطبي من أنَّ هذا العدد لا يراد بعينه، بل يفيد الكثرة، أو قد يكون لخاصيَّة لا يعلمها إلا الله، ورسوله، وبمثل هذا الاتجاه قال أكثر المعاصرين من العلماء. وعلاوة على ذلك، اكتشف الطِّبّ المعاصر فاعليَّة سبع تمرات في قضيَّة تقدَّم ذكرها سابقًا.

ثالثًا: بناءً على اطلاع الباحث المتواضع، لم يتطرَّق المتقدمون من العلماء إلى الحديث عن وقت تناول التَّمر المذكور في الحديث، وهو وقت الصَّباح، ولكن المعاصرين من العلماء قاموا بنقاشه، مثل ما فعله الدّكتور النَّسيمي الذي قال بأنَّ تناول التَّمر قبل الفطور نافع لامتصاص سكر التَّمر بسرعة، لاختزان قسم منه في الكبد.

وبالتالي يبدو في هذا المقام دور تطوُّر علم الطِّبّ الذي يؤثر في **توسيع فهم الحديث**، حيث تناول المتقدمون شكلين فقط من الأشكال الثَّلاثة الواردة في الحديث، وهما النوعيَّة، والعدد، أما المعاصرون، فإنهم تناولوهما، وكذلك الشَّكل الثَّالث، وهو وقت التناول، فضلًا عن ما تطرَّق إليه المتقدمون من العلماء. وبالإضافة إلى ذلك، يوسّع الطِّبّ المعاصر فهم الحديث بمحاولته للكشف عن معانٍ

للحديث لم يفهمها المتقدمون، من خلال دراسة أجريت للكشف عن ما وراء سبع تمرات المذكورة في الحديث، كما مرَّ الحديث عنه سابقًا.

٢. طرق التبريد بالماء في علاج الحُمَّى:

عن ابن عمر، عن النَّبيّ ﷺ قال: "إِنَّ شِدَّةَ الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَابْرُدُوهَا بِالْمَاءِ"[٥٩٥]. وقد تقدَّم تخريج هذا الحديث في المباحث السَّابقة.

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

تناول ابن قيِّم الجوزيَّة هذا الحديث، وشرح محتواه في فصل "في هديه ﷺ في علاج الحُمَّى"، وتحدَّث عن طرق التبريد بالماء، حيث قال: "... فإنها تسكن على المكان بالانغماس في الماء البارد، وسقي الماء البارد المثلوج، ولا يحتاج صاحبها مع ذلك إلى علاج آخر ..."[٥٩٦]، وقد نقل كيفيَّة التبريد بالماء عن علاء الدِّين الكحَّال في كتابه، ولم يشر إليه في نقله عنه[٥٩٧]. وقال أيضًا: "... وقد اعترف فاضل الأطبَّاء جالينوس: بأنَّ الماء البارد ينفع فيها، قال في المقالة العاشرة من كتاب حيلة البرء : ولو أنَّ رجلا شابًا حسن اللحم، خصب البدن في وقت القيظ، وفي وقت منتهى الحُمَّى، وليس في أحشائه ورم، استحمَّ بماء

---

[٥٩٥] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب لكل داء دواء واستحباب التَّداوي. ج. ٤: ١٧٣١. رقم الحديث ٢٢٠٩. ابن ماجه. ٢٠٠٩. *سنن ابن ماجه*. *كتاب الطِّبّ*. باب الحُمَّى من فيح جهنم فأبردوها بالماء. ج. ٤: ٥٢٢. رقم الحديث ٣٤٧٢. ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند النِّساء. مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عنها. ج. ٤٠: ٢٧٧. رقم الحديث ٢٤٢٢٨.

[٥٩٦] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢٢.

[٥٩٧] الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبِّيَّة*. ص. ٢٠.

بارد، أو سبح فيه، لانتفع بذلك"[٥٩٨]. والخلاصة إنَّ التبريد بالماء لعلاج الحُمَّى عند ابن قيِّم الجوزيَّة يكون من خلال ثلاثة أمور، وهي الانغماس أو السباحة في الماء البارد، وسقي الماء البارد للمحموم، والاغتسال بالماء البارد.

رأي الدّكتور النَّسيمي:

أما الدّكتور النَّسيمي، فإنه بيّن طرق التبريد بالماء المستخدمة في الطِّبّ الحديث، ويمكن تلخيصها من خلال النِّقاط الآتية[٥٩٩]:

- اللف بالكمادات الباردة (Cold Compression Therapy/Hilotherapy)، أي يستعمل قطع القماش المبلولة بالماء البارد، ثم يستخدمها على جميع الجسم، أو أجزاء معيَّنة، مثل الجبهة، والرَّاس، ونحوهما، ويكرر هذه الطريقة مرَّة كل ثلاث إلى أربع ساعات.
- الحمَّام البارد الذي تكون درجة حرارته ١٥-٢٠°، وهو من أحسن الطرق، خاصَّة للمصابين بالحُمَّى التيفيَّة (Thypoid Fever). وقد أشار إلى معناه ابن قيِّم الجوزيَّة في نقله عن جالينوس آنفًا.
- مغطس ماء بارد، بوضع المريض في مغطس مملوء ثلثه بالماء بدرجة ٣٢-٣٥°، ثم يزاد ماء مبرد كل خمس دقائق، حتى تصل درجة حرارة الماء إلى ١٥,٥°، ويستمر المغطس حتى تصل درجة حرارة المريض إلى الدرجة العادية. وقد ذكر ابن قيِّم الجوزيَّة معناه في قوله عن الانغماس بالماء البارد.

---

[٥٩٨] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢٢، ٢٣.

[٥٩٩] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٢١٤-٢١٧.

– واقترح الدّكتور النَّسيمي عدَّة طرق علاجيَّة لحجاج بيت الله الحرام الذين يتعرضون لضربة الشَّمس الشَّديدة أثناء أدائهم لمناسك الحج، منها تناول ماء مبرد فيه ١% من كلور الصوديوم (Sodium Chloride)، أو تناول أقراص من ملح الطَّعام.

وبعد اطلاع الباحث على أقوال المتقدِّمين من العلماء، خلص إلى أنَّ أقوالهم عن طرق تبريد الحُمَّى بالماء تدور حول ثلاث نقاط، أوَّلها، الاغتسال بالماء للمحموم. قال المازري: "... والأطبَّاء يسلمون إنَّ الحُمَّى الصفراويَّة يدبر صاحبها بسقي الماء البارد الشَّديد البرد نعم ويسقونه الثّلج، ويغسلون أطرافه بالماء البارد، فغير بعيد أن يكون ﷺ أراد هذا النّوع من الحُمَّى والغسل على مثل ما قالوه أو قريبًا منه ..."[٦٠٠]. وقال القرطبي: "ولئن سلَّمنا أنه أراد جميع جسد المحموم – يعني اغتسال جميع الجسد –، فجوابه أنه يحتمل أن يريد بذلك استعماله بعد أن تقلع الحُمَّى وتسكن حرارتها، ويكون ذلك في وقت مخصوص وبعدد مخصوص، فيكون ذلك من باب الخواص التي قد اطلع عليها النَّبيّ ﷺ ..."[٦٠١]. وثانيها، وثانيها، رشّ الماء على جسم المحموم. قال ابن حجر: "... وأولى ما يحمل عليه كيفيَّة تبريد الحُمَّى ما صنعته أسماء بنت الصديق، فإنها كانت ترش على بدن المحموم شيئًا من الماء بين يديه وثوبه، فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها، والصَّحابي ولا سيما مثل أسماء التي هي ممن كان يلازم بيت النَّبيّ ﷺ أعلم

[٦٠٠] المازري. ١٩٨٨. *المعلم بفوائد مسلم*. ج. ٣. ص. ١٧٠.

[٦٠١] القرطبي. ١٩٩٦. *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. ج. ٥. ص. ٦٠١.

بالمراد من غيرها ..."[٦٠٢]، ثالثها، شرب الماء للمحموم. قال أبو بكر الرَّازي: "إذا كانت القوى قويَّة، والحُمَّى حادَّة، والنضج بين، ولا ورم في الجوف، ولا فتق، فإنَّ الماء البارد ينفع شربه ..."[٦٠٣].

أما المعاصرون من العلماء، فقد أكَّد الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني ما أكده الدّكتور النَّسيمي من استعمال معاصر للماء في علاج الحُمَّى، مثل مغطس الماء البارد، وكمادات الماء البارد، إلا أنَّ الدّكتور الكيلاني بيّن أنَّ علاج الحُمَّى بالماء يعدُّ من المعالجات العرضيذَة (Symptomatic treatment)، ويمكن إنَّ يقال أنه يُعدُّ من المعالجات التكميليَّة (Complementary treatment)، حيث يحتاج إلى الدَّواء المنضبط لمكافحة سبب الحُمَّى. قال الدّكتور الكيلاني: "والمعالجة بالماء هي معالجة عرضيَّة على كل حال، ريثما يُعرف السبب فيكافح وتوجه إليه المعالجة النَّاجعة ..."[٦٠٤]، وأكَّد هذا الأمر أيضًا الدّكتور السيد عبد الحكيم عبد الله، حيث ذكر أنَّ الحُمَّى التي تصادف في مرض معين، يجب أن يعالج المرض عينه أوَّلًا بدواء مناسب، ولا يكتفى بالماء فقط[٦٠٥]. وبالإضافة إلى ذلك، أكَّد الطِّبّ المعاصر المعاصر ما يسمى بالاستحمام بالإسفنجة (Sponge bath) الذي يعدُّ معالجات تكميليَّة للحمَّى خاصَّة لدى الأطفال، والذي يكمّل دور باراسيتامول في مكافحة الحُمَّى[٦٠٦]. ولوحظ هنا دور الطِّبّ المعاصر الذي يؤثر في **توسيع معاني الحديث**، حيث يظهر أنَّ مقولة ابن قيِّم الجوزيَّة تعدُّ مصدراً لما حدّده

---

[٦٠٢] العسقلاني. ١٣٧٩. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ١٠. ص. ١٧٦.

[٦٠٣] المصدر نفسه. ج. ١٠. ص. ١٧٧.

[٦٠٤] الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبِّيَّة في الإسلام*. ص. ٣٤٥، ٣٤٦.

[٦٠٥] انظر: عبد الله. ١٩٩٨. *إعجاز الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٩٩.

[٦٠٦] إيس توماس وآخرون. ٢٠٠٩. " Comparative Effectiveness of Tepid Sponging and Antipyretic Drug Versus Only Antipyretic Drug in the Management of Fever Among Children: A Randomized Controlled Trial. *Indian Academy of Pediatrics*. ج. ٤٦. فبراير. ص. ١٣٣-١٣٦.

الدّكتور النَّسيمي من كيفيَّات وطرق متعددة. ومن جانب آخر، وسّع الطِّبّ المعاصر المفهوم الحقيقي للحديث، حيث أكّد أنَّ الماء يعدُّ من المعالجات التكميليَّة للحمَّى، وليس علاجًا أساسيًّا له، فالرَّسُول ﷺ إذًا لم يذكر الماء دواء للحمَّى لغرض الحصر، بل يمكن القول أنَّ الماء يُعدُّ ما تيسر لهم من أدوية للحمَّى في ذاك الوقت، وبالتالي لم يلتفتوا إلى أدوية أخرى، والله أعلم.

المبحث الثَّالث: الآثار في محور الطِّبّ النَّبويّ النَّفسي الرُّوحي

تقدَّم الحديث عن المحاور الخمسة للطِّبِّ النَّبويّ، ومن هذه المحاور الطِّبّ النَّبويّ النَّفسي الرُّوحي، وهو المحور الذي يشمل الوقاية من الأمراض النَّفسيَّة أو الرُّوحانيَّة، وعلاجها بعد الحدوث، مثل أمراض الهمّ، والرياء، والحسد، وكذلك السِّحر، والعين، ونحوها. ويشمل كذلك الرقية الشرعيَّة الثَّابتة، وأخطاء ممارستها. وقد تقدَّم أيضًا ذكر بعض أمثلة لهذا المحور، ويهدف هذا المبحث إلى تتبع آثار تطوُّر علم الطِّبّ في طرق تناول العلماء لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ المتعلِّقة بهذا المحور، مقارنًا فيه بين أقوال ابن قيِّم الجوزيَّة والدّكتور النَّسيمي كمرجعين أساسيين في كتابيهما.

المطلب الأوَّل: أثر تطوُّر علم الطِّبّ في الأحاديث المتعلِّقة بالأمراض النَّفسيَّة والرُّوحانيَّة

إذا تتبعنا أحاديث الطِّبّ النَّبويّ في مؤلفات العلماء فيها، نجد أنَّ الرَّسُول ﷺ تعامل مع بعض الأمراض النَّفسيَّة والرُّوحانية التي أصابت أصحابه رضي الله عنهم، وبيّن مع هذه الأمراض طرق علاجها. وانطلاقًا

من هذا الأمر، ناقش العلماء هذه الأمراض مناقشةً علمية في مؤلفاتهم للكشف عن بيان الرَّسُول ﷺ لهذه الأمراض، وطرق علاجها خاصَّة، ومن هذه الأمراض التي ذكرها الرَّسُول ﷺ في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ:

أوَّلًا: مرض العين: وقد عرّف العلماء العين بتأثير نظر عدو أو حسود إلى فلان، فمرض بسببها، والذي أصاب شخصًا آخر بالعين، فهو عائن، وأما الذي يصاب بالعين، فهو معين[٦٠٧].

روى أبو أمامة بن سهل بن حُنيف حديثًا، أنه قال: مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ! فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا. قَالَ: "مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ؟" قَالُوا: عَامِرَ ابْنَ رَبِيعَةَ. قَالَ: "عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ"، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَيَغْسِلْ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ. قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ: وَأَمَرَ أَنْ يَكْفِئَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ[٦٠٨].

وأخرجه مالك في الموطأ بلفظ قاله الرَّسُول ﷺ: "عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلَاّ بَرَّكْتَ. إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ. تَوَضَّأْ لَهُ"، وبلفظ: "عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلَاّ بَرَّكْتَ. اغْتَسِلْ لَهُ..."[٦٠٩].

---

[٦٠٧] انظر: ابن الأثير، المبارك بن محمَّد. ١٩٧٩. *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزَّاوى، محمود محمَّد الطناحي. بيروت: المكتبة العلميَّة. ج. ٣. ص. ٣٣٢.

[٦٠٨] ابن ماجه. ٢٠٠٩. *سنن ابن ماجه*. أبواب الطِّبّ. باب العين. ج. ٤: ٥٤٢. رقم الحديث ٣٥٠٩. ومالك. ١٩٨٥. *الموطأ*. كتاب العين. باب الوضوء من العين. ج. ٢: ٩٣٨، ٩٣٩. رقم الحديث ١، ٢. وصحّحه ابن حبان. انظر: ابن حبان. ٢٠١٢. *صحيح ابن حبان*. النوع الخامس والتسعون. ذكر وصف الوضوء الذي ذكرناه لمن وصفناه. ج. ٢: ٤٢٣. رقم الحديث: ١٦٢٥.

[٦٠٩] مالك. ١٩٨٥. *الموطأ*. كتاب العين. باب الوضوء من العين. ج. ٢: ٩٣٨، ٩٣٩. رقم الحديث ١، ٢.

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

ذكر قيِّم الجوزيَّة الحديث، وشرح محتواه في فصل "في هديه ﷺ في علاج المصاب بالعين"، وأكّد أنَّ مرض العين يصيب النَّاس بتأثير الأرواح في الأجسام. قال ابن قيِّم الجوزيَّة: "ولا ريب إنَّ الله سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواص وكيفيَّات مؤثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام، فإنه أمر مشاهد محسوس، وأنت ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه، ويستحي منه، ويصفرّ صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه، وقد شاهد النَّاس من يسقم من النَّظر وتضعف قواه، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح ..."[٦١٠].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

أما الدّكتور النَّسيمي، فإنه شرح الحديث في نقطة "معالجة الإصابة بالسِّحر أو بالعين"، وأكّد أنَّ مرض العين يصيب الشخص تحت تأثير المبالغة في اعتقاده بالعين، والتخوف الشَّديد منه، حتى يضطر نفسه في نسبة أي مرض أصيب به إلى الإصابة بمرض العين، ويُفهم هنا أنَّ هذا المرض يحدث بتأثير العنصر النَّفسي، ولذلك تعدُّ المعالجة الرُّوحيَّة من أنفع طرق العلاج لمن أصيب بمرض العين[٦١١]. والذي يراه الباحث أن لا تعارض بين ما ذكره الدّكتور النَّسيمي وما أكّده ابن قيِّم الجوزيَّة آنفًا، حيث اتفقا على أنَّ

---

[٦١٠] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ١٢٦، ١٢٧.

[٦١١] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ١٦٢، ١٦٣.

مرض العين يصيب الإنسان بتأثير الأرواح أو القوة النَّفسيَّة، وبالتالي يحتاج المعين إلى المعالجات الرُّوحية لعلاج هذا المرض.

وبالنظر في أقوال المتقدِّمين من العلماء، يلاحظ الباحث أنهم اتجهوا إلى ما اتجه إليه ابن قيِّم الجوزيَّة كما مرَّ سابقًا، حيث أكَّدوا أيضًا أنَّ العين ينشأ من خلال تأثير الأرواح، ولكنها لا تؤثر إلا بإرادة الله تعالى ومشيئته. قال ابن حجر: "... ولشدَّة ارتباطها بالعين نسب الفعل إلى العين، وليست هي المؤثرة، وإنما التَّأثير للروح، والأرواح مختلفة في طبائعها، وقواها، وكيفيَّاتها، وخواصها، فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به، لشدَّة خبث تلك الرُّوح، وكيفيتها الخبيثة، والحاصل أنَّ التأثير بإرادة الله تعالى وخلقه ليس مقصوراً على الاتصال الجسماني، بل يكون تارة به، وتارة بالمقابلة، وأخرى بمجرد الرؤية، وأخرى بتوجه الرُّوح، كالذي يحدث من الأدعية، والرقى، والالتجاء إلى الله ..."[٦١٢]. وقال المازري: المازري: "وهكذا مذهب أهل السُّنَّة، إنَّ المعيون إنما يَفسد أو يهلك عند نظر العائن بعادة أجرَاها الله سبحانه أن يخلق الضرر عند مقابلة شخص لشخص آخر ..."[٦١٣].

أما مذهب المعاصرين من العلماء، فإنَّ فحوى أقوالهم يشير إلى موافقتهم ما أيّده المتقدمون من العلماء الذين قالوا أنَّ مرض العين يصيب الإنسان بتأثير الأرواح القائم بمشيئة الله تعالى. وقد بيّن الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني أنَّ منشأ مرض العين هو القوى الرُّوحية والنَّفسيَّة في قوله: "... أما العلم التجريبي فلا يقر بوجود الإصابة بالعين، لأنه لا يستطيع إنَّ يحس بها، كما لا يستطيع إنَّ يجري عليها التَّحليل

---

[٦١٢] العسقلاني. ١٣٧٩. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ١٠. ص. ٢٠١.

[٦١٣] المازري. ١٩٨٨. *المعلم بفوائد مسلم*. ج. ٣. ص. ١٥٦.

والتجريب، ولكن هل معنى ذلك أنها غير موجودة؟ ... إنَّ القوى الرُّوحية والنَّفسيَّة لم يعد بوسع العلم أنم ينفيها، وإن لم يستطع أن يلمسها بيده أو يراها بعينه، وكذلك انتقال تأثيرها من شخص إلى آخر، ثمة دلائل على إمكان حدوثه، فالتنويم المغناطسي – مثلًا، وقد أصبح حقيقة واقعة – ما هو إلا انتقال تأثير القوة النَّفسيَّة من شخص إلى شخص آخر."[٦١٤]. وعلاوة على ذلك، بناءً على اطلاع الباحث المتواضع، لم يجد الباحث أي دراسات طبيَّة حديثة تناولت قضيَّة العين نقاش طبيّ حديث، إلا في دراسة واحدة وجدها الباحث والتي نسبت مرض العين إلى علم النَّفس الماورائي (Parapsychology) ، ولكنها مع ذلك ربطت هذا المرض أيضًا بالأمراض الرُّوحية، والتي تحتاج إلى المعالجات الرُّوحية التي علمها الرَّسُول ﷺ[٦١٥]. ويظهر في هذا المقام أنَّ تطوُّر علم الطِّبّ **لا يؤثر في بيان حقيقة مرض العين، وطرق علاجه،** حيث يبدو أنَّ المعاصرين من العلماء والأطبَّاء لم يتناولوا حقيقة هذا المرض، إلا بما أكّده المتقدمون من العلماء، بل نصوا أنَّ في الطِّبّ النَّبويّ أموراً لا يقدر الطِّبّ الحديث على تفسيرها، وبيانها، كما أكّد الدّكتور الكيلاني آنفًا، مهما توسعت التطوُّرات في الأجهزة والأدوات في العُصُور الحديثة. والجدير بالذكر أنَّ هذا الأمر يعطينا إشارة إلى أنَّ الطِّبّ النَّبويّ أوسع من الطِّبّ الحديث، لاستيعابه ما لم يستوعبه الطِّبّ الحديث.

---

[٦١٤] الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبِّيَّة في الإسلام*. ص. ٣٨٨.

[٦١٥] أحمد والي عطاية وآخرون. ٢٠٢٠. " Impression of Evil Eye and Its Remedy in Islam and Medicine". *International Journal of Science and Research*. ج. ٩. عدد (١): يناير.

ثانيًا: مرض الأرق: إنَّ الأرق هو السَّهر، وهو مفارقة الرجل النَّوم من وسواس أو حزن أو غير ذلك[٦١٦].

روى بريدة بن الحصيب حديثًا، أنه قال: شَكَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنَ الْأَرَقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَقُلِ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، أَوْ أَنْ يَبْغِيَ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"[٦١٧].

رأي ابن قيّم الجوزيَّة:

لم يعلق ابن قيّم الجوزيَّة على هذا الحديث، وقد وضعه في كتابه ضمن فصل "في هديه ﷺ في علاج الفزع والأرق المانع من النَّوم"[٦١٨]. والذي يراه الباحث أنَّ اكتفاء ابن قيّم الجوزيَّة بذكر هذا الحديث، دون التعليق عليه، يدلُّ على اكتفاءه بما ورد في الحديث من أدعية وأذكار كعلاج تامّ للأرق، وهو لذلك يعدُّ من الأمراض النَّفسيَّة التي تحتاج إلى المعالجات الرُّوحية، والله أعلم.

---

[٦١٦] انظر: المباركفوري، أبو العلا محمَّد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. د.ت. *تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي*. بيروت: دار الكُتُب العلميَّة. ج. ٩. ص. ٣٥٥.

[٦١٧] التِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي. أبواب الدعوات*. ج. ٥: ٥٣٨. رقم الحديث ٣٥٢٣. قال فيه الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من خالد بن الوليد"، فالحديث مرسل. انظر: الطبراني، سليمان بن أحمد. ١٩٩٤. *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. الرياض: دار الصميعي. ج. ٤: ١١٥. رقم الحديث ٣٨٣٩. والطبراني، سليمان بن أحمد. ١٩٩٤. *المعجم الصغير*. تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير. عمان: دار عمار. ج. ٢: ١٧٧. رقم الحديث ٩٨٤. والهيثمي. ١٩٩٤. *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. ج. ١٠. ص. ١٢٦. رقم الحديث ١٧٠٦٣.

[٦١٨] انظر: الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ١٦٣.

رأي الدّكتور النَّسيمي:

ذكر الدّكتور النَّسيمي الحديث، وشرح محتواه في نقطة "معالجة الأرق"، وأكّد أنَّ مرض الأرق يصيب الشَّخص لأسباب متعددة، منها لسبب تأثير الأمراض البدنيَّة، أو تأثير انشغال الذِّهن بمتطلبات الأعمال اليوميَّة، ومسؤولياتها، وهمومها، أو لتأثير الخوف، أو لسبب ما يحدث في الوهن العصبي (Neurasthenia)، أو قد يكون بدايةً للعلل العقليَّة[٦١٩]. وبالتالي، تحويل التَّفكير إلى التَّفكير بعظمة الله، وطلب الاستعانة منه، من أنفع المعالجات الرُّوحية لكسب الاطمئنان والهدوء النَّفسي، الذي يساعد المريض على النوم، ودفع مرض الأرق. قال الدّكتور النَّسيمي: "إن هذا الحديث – وإن كان ضعيف الإسناد – يدلُّ على طريقة روحيَّة في معالجة الأرق في فجر الإسلام ... وهي تنقل المؤمن من التَّفكير بهموم الدنيا إلى التَّفكير بالخالق العظيم ..."[٦٢٠].

ويظهر من كلام الدّكتور النَّسيمي أنه بيّن أمرين في تعليقه للحديث، وهما سبب حدوث مرض الأرق، وأثر الدُّعاء المذكور في الحديث في علاج الأرق، من خلال تحويله لهم الإنسان من الخوف أو القلق، إلى التَّفكير بعظمة الله تعالى، والذي يراه الباحث أنَّ هذه النُّقطة تعطينا إشارة إلى أنَّ الأدعية والأذكار لا ينحصر نفعها في التبرك بما بيّنه الله والرَّسُول ﷺ فحسب[٦٢١]، بل يتعدَّى نفعها إلى تحويل

---

[٦١٩] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ١٦١.

[٦٢٠] انظر: المصدر نفسه. ج. ٣. ص. ١٦٢.

[٦٢١] قال القاضي عياض في تعليقه لحديث علاج الرَّسُول ﷺ بالتُّراب والرقى: "... هذا من فعله – عليه السَّلام – حقيقة الطِّبّ مع التبرك باسم الله والتشفى به ...". انظر: القاضي عياض. ١٩٩٨. *إكمال المعلم بفوائد مسلم*. ج. ٧. ص. ٩٥.

وعي الإنسان إلى ما هو أكبر من مصائبه، أو مشكلاته، وهو عظمة الله، وقدرته، ومن خلال هذا التَّفكير الإيجابي، يشفي المريض النَّفسي مما ابتلي به.

وقد تتبع الباحث أقوال المتقدِّمين من العلماء عن مرض الأرق، ولم يجد – حسب اطلاعه المتواضع – أقوالهم المتعلِّقة به إلا في ذكر مفهومه بشكل موجز، مثل ما قاله مظهر الدِّين الزيداني: "والأرق: مفارقة النَّوم الرَّجل من وسوسة أو حزن أو غير ذلك"[٦٢٢]، وما قاله الطيبي: "الأرق هو السَّهر، ورجل أرق، إذا سهر لعلة، فإن كان السَّهر من عادته ..."[٦٢٣].

أما المعاصرون والطِّبّ المعاصر، فإنَّ الأرق حديثًا يُعرف باسم مرض "Insomnia"، وهو التَّضجر الفاعلي تجاه مدة وجودة النَّوم للأشخاص. وهو يشمل أيضًا الصُّعوبة لابتداء النَّوم ودوامه، أو استيقاظ قبل وقته، ونحوه. وبالإضافة إلى ذلك، قسّم الطِّبّ المعاصر علاج الأرق إلى قسمين: دوائي أو فارماكولوجي، ولافارماكولوجي. أما اللافارماكولوجي، فإنه نافع للأرق المتواصل في مدة أكثر من ثلاثة أسابيع، ولذلك يحتاج إلى علاج لافارماكولوجي مثل تطبيق عدَّة أمور مسمَّاة بـ "Sleep hygiene" التي تساعد على النَّوم، كاختيار درجة حرارة الغرفة المناسبة، والرطوبة المناسبة، والإضاءة المناسبة. ويدخل أيضًا في علاج لافارماكولوجي ما يسمى بـ "Stimulus control therapy"، وهو عبارة عن النُّصح للمريض بالنَّوم إذا كان نعسانًا فقط، وتحويل الموضع في حالة عدم القدرة على النَّوم بعد عشرين دقيقة، ثم القيام بالأعمال الخامدة مثل القراءة، ومشاهدة التلفاز. والذي يراه الباحث، إنَّ الأدعية أو

---

[٦٢٢] المظهري، الحسين بن محمود. ٢٠١٢. *المفاتيح في شرح المصابيح*. تحقيق: نور الدِّين طالب. تونس: دار النوادر. ج. ٣. ص. ٢١٨.

[٦٢٣] الطيبي، الحسين بن عبد الله. ١٩٩٧. *الكاشف عن حقائق السُّنَن*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. الرِّياض: مكتبة نزار مصطفى الباز. ج. ٦. ص. ١٨٨٨.

الأذكار في الحديث المذكور سابقًا يمكن أن تدخل ضمن هذا القسم، لتعلقها بمعالجات نفسيَّة، أو روحيَّة، والله أعلم. وأما دوائي أو فارماكولوجي، فإنه أنفع للأرق المزمن بإعطاع الدَّواء المناسب مثل بِنزوديازيبين (Benzodiazepine)، ونحوها[٦٢٤].

ويتضح هنا دور تطوُّر علم الطِّبّ الذي يؤثر في **توسيع معاني الحديث**، حيث تتضح لنا قدرة الطِّبّ المعاصر على إعطاء المعارف الزَّائدة عن هذا المرض، والتي لم يحدّدها المتقدمون من العلماء من قبل، مثل تعيين أسباب الإصابة بالأرق، وبيان أنَّ للأدعية والأذكار نفع آخر غير التبرك في علاج المرض النَّفسي، من خلال تحويله لتفكير الإنسان من الحزن، أو الخوف، ونحوهما، إلي التفكير بعظمة الله وقدرته تعالى، وكذلك وسّع الطِّبّ المعاصر معاني الحديث من خلال توجيهه للعلاج الدوائي غير الرُّوحي للأرق، كما بيّن الباحث آنفًا.

المطلب الثَّاني: أثر تطوُّر علم الطِّبّ في الأحاديث المتعلّقة بالرقى والأدعية

إنَّ مما يميّز الطِّبّ النَّبويّ عن طبّ الشُّعوب أو الطِّبّ الحديث احتواءه على بعض الطرق العلاجيَّة أو الوقائيَّة من خلال الرقى الشرعيَّة والأدعية، وهي تختلف تمامًا عن التعاويذ الشركيَّة التي عملتها الشُّعوب المختلفة كالهنود والعرب في الجاهليَّة، لأنَّ هذه الرقى والأدعية النبويَّة مصدرها الوحي المعصوم، خلافًا للتعاويذ الشركيَّة التي جعلت نفوس النَّاس منقادة للشياطين كمصدر من مصادر التعاويذ.

---

[٦٢٤] كي إيم عارف وآخرون. ٢٠٠١. " Understanding Insomnia and Its Management". *Medical Journal of Malaysia*. ط. ٥٦. عدد (٣): سبتمبر. ص. ٣٨٧-٣٩٢.

وقد جمع العلماء هذه الرقى والأدعية النبويَّة في مؤلفاتهم المتميزة، ومن الأحاديث التي تدلُّ على علاج الرَّسُول ﷺ بالرقى والأدعية، ما رواه عثمان بن أبي العاص الثقفي، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ – ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ"[٦٢٥].

أخرجه أبو داود في سننه بلفظ: قال عثمان: وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ"، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ[٦٢٦]، وابن ماجه في سننه، بلفظ: قال عثمان: وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُبْطِلُنِي، وقوله: فَقُلْتُ ذَلِكَ، فَشَفَانِيَ اللَّهُ[٦٢٧]، وأحمد في مسنده، بلفظ: "أَمْسِكْ بِيَمِينِكَ

---

[٦٢٥] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدُّعاء. ج. ٤: ١٧٢٨. رقم الحديث ٢٢٠٢. وأبو داود. ٢٠٠٩. *سنن أبي داود*. كتاب الطِّبّ. باب كيف الرقى. ج. ٦: ٣٨. رقم الحديث ٣٨٩١. والتِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. أبواب الدعوات. ج. ٥: ٥٧٤. رقم الحديث ٣٥٨٨. قال التِّرمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وفي أبواب الطِّبّ. ج. ٤: ٤٠٨. رقم الحديث ٢٠٨٠. وابن ماجه. ٢٠٠٩. *سنن ابن ماجه*. أبواب الطِّبّ. باب ما عوذ به النَّبيّ ﷺ، وما عوذ به. ج. ٤: ٥٥٠. رقم الحديث ٣٥٢٢. ومالك. ١٩٨٥. الموطأ. كتاب العين. باب التعوذ والرقية من المرض. ج. ٢: ٩٤٢. رقم الحديث ٩. وابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند المدنيين. حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي. ج. ٢٦: ١٩٦. رقم الحديث ١٦٢٦٨. وفي مسند الشَّاميين. حديث عثمان بن أبي العاص عن النَّبيّ ﷺ. ج. ٢٩: ٤٣٥. رقم الحديث ١٧٩٠٧. وفي مسند القبائل. حديث كعب بن مالك. ج. ٤٥: ١٥٩. رقم الحديث ٢٧١٧٩.

[٦٢٦] أبو داود. ٢٠٠٩. *سنن أبي داود*. كتاب الطِّبّ. باب كيف الرقى. ج. ٦: ٣٨. رقم الحديث ٣٨٩١. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود: إسناده صحيح.

[٦٢٧] ابن ماجه. ٢٠٠٩. *سنن ابن ماجه*. أبواب الطِّبّ. باب ما عوذ به النَّبيّ ﷺ، وما عوذ به. ج. ٤: ٥٥٠. رقم الحديث ٣٥٢٢. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه: إسناده صحيح.

سَبْعَ مَرَّاتٍ"[٦٢٨]، وبلفظ: "ضَعْ يَمِينَكَ عَلَى مَكَانِكَ الَّذِي تَشْتَكِي، فَامْسَحْ بِهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ، وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ فِي كُلِّ مَسْحَةٍ"[٦٢٩].

أخرجه التِّرمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك، عن طريق ثابت البناني، قال: قال لي: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ، ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وِتْرًا[٦٣٠]، وأخرجه أحمد في مسنده من حديث كعب بن مالك، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ أَلَمًا فَلْيَضَعْ يَدَهُ حَيْثُ يَجِدُ أَلَمَهُ ثُمَّ لِيَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ"[٦٣١].

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

ذكر ابن قيِّم الجوزيَّة الحديث في فصل "في هديه ﷺ في علاج الوجع بالرقية"، وأكّد أنَّ الرقى أو الأدعية تُستخدم في علاج الأمراض من باب التبرك بالله والتوسل إليه، حيث قال: "... ويقول هذا الكلام لما فيه من بركة ذكر اسم الله، وتفويض الأمر إليه، والتَّوكُّل عليه ..."، وقال في موطن آخر: "ففي هذا العلاج

---

[٦٢٨] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند المدنيين. حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي. ج. ٢٦: ١٩٦. رقم الحديث ١٦٢٦٨. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصَّحيح غير عمرو بن عبد الله بن كعب السَّلَمي فقد أخرج له أصحاب السُّنَن، وهو ثقة.

[٦٢٩] المصدر نفسه. مسند الشَّاميين. حديث عثمان بن أبي العاص عن النَّبي ﷺ. ج. ٢٩: ٤٣٥. رقم الحديث ١٧٩٠٧. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصَّحيح غير سليمان– وهو ابن داود– الهاشمي، فقد روى له البخاري في "خلق أفعال العباد" وأصحاب السُّنَن، وعمرو بن عبد الله السَّلَمي، فقد روى له أصحاب السُّنَن أيضاً، وهما ثقتان.

[٦٣٠] التِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. أبواب الدعوات. ج. ٥: ٥٧٤. رقم الحديث ٣٥٨٨. قال التِّرمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

[٦٣١] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند القبائل. حديث كعب بن مالك. ج. ٤٥: ١٥٩. رقم الحديث ٢٧١٧٩. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: صحيح لكن من حديث عثمان بن أبي العاص كما سيأتي، وهذا إسنادٌ ضعيف لضعف أبي مَعْشر، وهو نَجِيحُ بنُ عبد الرحمن السَّندي المدني، وقد أخطأ في إسناد هذا الحديث.

من ذكر الله، والتَّفويض إليه، والاستعاذة بعزته وقدرته من شرّ الألم ما يذهب به، وتكراره ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدَّواء لإخراج المادَّة، وفي السَّبع خاصيَّة لا توجد في غيرها، وفي الصَّحيحين :أن النَّبيّ ﷺ، كان يعوّذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ... ففي هذه الرقية توسل إلى الله بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشِّفاء، وأنه وحده الشَّافي، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه، فتضمنت التوسل إليه بتوحيده وإحسانه وربوبيته"[٦٣٢].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

ذكر الدّكتور النَّسيمي الحديث في نقطة "معالجة ألم مزمن بالرقية"، وأقرَّ ما ذكره ابن قيِّم الجوزيَّة، حيث نقل عن ابن قيِّم الجوزيَّة، واستشهد ببعض كلامه، إلا أنَّ الدّكتور النَّسيمي أشار إلى نقطة مهمَّة في تناوله لهذا الحديث، حيث قال: "إن الطَّبيب لا يألو جهدًا في تسكين ألم مريضه ريثما يتمُّ شفاؤه من مرضه الأصلي المسبب للألم، بل ولو تعذَّر هذا الشِّفاء. كما إنه يطمئن مريضه، لأنَّ المخاوف النَّاتجة عن الألم قد تسبب زيادة في التشنجات المسببة للألم، وقد تؤدِّي إلى اضطراب نفسي. ومن الآلام ما هي عصابات نفسيَّة ناتجة عن الإرهاق والقلق، فالرَّاحة والمعالجة الرُّوحية كفيلان بإزالتها"[٦٣٣].

وقد أكّد الدّكتور النَّسيمي بكلامه أنَّ الخوف والقلق النَّاتجين عن الألم قد يسببان اضطرابًا نفسيًا، مما لا حلَّ له إلا من خلال الرَّاحة، والمعالجات الرُّوحية من الرقى، والأدعية. والذي يراه الباحث، إنَّ ما أكّده الدّكتور النَّسيمي يدل على إنَّ الرقى والأدعية لا تُستعمل في العلاج من باب التبرك

---

[٦٣٢] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ١٤٤-١٤٦.

[٦٣٣] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ١٧٢.

فحسب، كما تقدم ذكره في المطلب السَّابق، بل إنها تُستعمل لفاعليتها في تسكين المرض الذي يتعلَّق بالاضطرابات النَّفسيَّة الحادثة عن الخوف والقلق.

وإذا تتبعنا أقوال المتقدِّمين من العلماء، نجد أنهم أكّدوا أنَّ الرقى والأدعية تُقرأ في علاج الأمراض من باب التبرك بذكر الله، كما نصَّ ابن قيِّم الجوزيَّة آنفًا، أو من باب التصديق بما جاء به الله تعالى، ورسوله ﷺ، يقينًا، ومخلصًا. قال ابن عبد البر: "وفيه أنَّ الرقي يدفع البلاء، ويكشفه الله به، وهو من أقوى معالجة الأوجاع لمن صحبه اليقين الصَّحيح، والتَّوفيق الصَّريح، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكَّلت وهو ربُّ العرش العظيم"[٦٣٤]، وقال ابن رسلان: "قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عني، ببركة هذه الاستعاذة..."[٦٣٥]، وقال المناوي: "... وإنما يظهر أثره لمن قوي يقينه وكمل إخلاصه ..."[٦٣٦].

أما المعاصرون من العلماء، فإنَّ أكثرهم – حسب اطلاع الباحث – وافقوا المتقدِّمين من العلماء على أنَّ الرقى والأدعية تُستخدم من باب التَّبرك بذكر الله تعالى بشرط أن يكون استخدامها مصحوباً باليقين والإخلاص لله. قال يوسف الحاج أحمد: "... فرقية المريض على نفسه أو أقارب المريض على مريضهم تكون أكثر إخلاصًا وتذللًا لله ومن قلب صادق وملح في الدُّعاء وطلب الشِّفاء ..."[٦٣٧]. وبالإضافة إلى ذلك، نقلوا أقوال المتقدِّمين من العلماء في كتبهم، وهو يدلُّ على موافقتهم على ما ذكره المتقدمون، مثل نقل الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني عن القرطبي ما يتعلَّق بالعلاج بالرقى والتُّراب، وقال إنه

---

[٦٣٤] ابن عبد البر. ١٣٨٧. *التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*. ج. ٢٣. ص. ٢٩

[٦٣٥] ابن رسلان. ٢٠١٦. *شرح سنن أبي داود*. ج. ١٥. ص. ٦٢٨.

[٦٣٦] المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين. ١٩٨٨. *التيسير بشرح الجامع الصغير*. الرِّياض: مكتبة الإمام الشَّافعي. ج. ٢. ص. ١١١.

[٦٣٧] الحاج أحمد. ٢٠٠٣. *موسوعة الإعجاز العلمي في القُرآن الكريم والسنة المطهرة*. ص. ٩٥٩.

قد يكون نافعًا من باب التبرك بأسماء الله تعالى، وآثار رسوله ﷺ[٦٣٨]. وكذلك الدّكتور السيد عبد الحكيم عبد الله، فإنه نقل الكلام عن ابن قيّم الجوزيَّة للدلالة على أنَّ الرقى والأدعية تُقرأ في علاج الأمراض من باب التَّبرك بالله وعظمته، والتَّوسل إليه تعالى[٦٣٩].

وبناءً على ما سبق، إنَّ تطوُّر علم الطِّبّ **يوسع حكمة التَّوجيه النَّبويّ في علاج الأمراض بالرقى والأدعية**، حيث اكتفى المتقدمون من العلماء بذكر الحكمة الواحدة، وهي التَّبرك بالله تعالى، والتَّوسل إليه، ومنها يحصل الشِّفاء بإذن الله تعالى. أما المعاصرون، فإنهم قاموا بوضع حكمة أخرى غير التَّبرك، كما ذكر الدّكتور النَّسيمي آنفًا، حيث بيّن أنَّ المعالجات الرُّوحيَّة تعدُّ مما يساعد المريض في تسكين الأمراض المتعلِّقة بالاضطراب النَّفسي، مثل الخوف، والقلق، والحزن، ونحوها.

المبحث الرَّابع: الآثار في محور أخلاقيَّات الطِّبّ

تناول الطِّبّ النَّبويّ أخلاقيَّات الطِّبّ الواردة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، والتي تتضمن القوانين المتعلِّقة بممارسة المهنة الطِّبيَّة. وسوف يتناول الباحث بعض الأمثلة من أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، ثم الإتيان بآراء ابن قيّم الجوزيَّة والدّكتور النَّسيمي في هذه الأحاديث، مع مقارنتهما بأقوال غيرهما من العلماء والأطبَّاء، وبيان آثار تطوُّر علم الطِّبّ في كيفيَّة تناول العلماء لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ المتعلِّقة بأخلاقيَّات الطِّبّ.

---

[٦٣٨] انظر: الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبيَّة في الإسلام*. ص. ٣٨٣.

[٦٣٩] انظر: عبد الله. ١٩٩٨. *إعجاز الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ١٣١.

المطلب الأوَّل: أثر تطوُّر علم الطِّبّ في حديث ضرورة العلم بالطِّبّ قبل تعاطي العمل الطِّبّي

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ الرَّسُول ﷺ قال: "مَنْ تَطَبَّبَ وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ"[٦٤٠]. وأخرجه أبو داود في سننه، بلفظ: "أَيُّمَا طَبِيبٍ تَطَبَّبَ عَلَى قَوْمٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ تَطَبُّبٌ قَبْلَ ذَلِكَ فَأَعْنَتَ فَهُوَ ضَامِنٌ"[٦٤١]، والنسائي في سننه، بلفظ: "وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ"[٦٤٢].

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

ذكر ابن قيِّم الجوزيَّة الحديث في فصل "في هديه ﷺ في تضمين من طب النَّاس وهو جاهل بالطِّبّ"، وقد بيّن فيه أقوال العلماء والفقهاء في توضيح مراد الرَّسُول ﷺ في الحديث، والأحوال التي يجب فيها الضَّمان، والتي لا يجب فيها، مع بيان اختلاف الفقهاء في القضيَّة، وقد لخص ابن قيِّم الجوزيَّة هذه الأحوال إلى خمسة أقسام كالآتي[٦٤٣]:

---

[٦٤٠] أبو داود. ٢٠٠٩. *سنن أبي داود*. كتاب الديات. باب فيمن تطبب بغير علم فأعنت. ج. ٦: ٦٤٣، ٦٤٤. رقم الحديث ٤٥٨٦، ٤٥٨٧. النسائي. ١٩٨٦. *سنن النسائي*. كتاب القسامة. باب صفة شبه العمد وعلى من دية الأجنة وشيه العمد. ج. ٨: ٥٢، ٥٣. رقم الحديث ٤٨٣٠، ٤٨٣١. وابن ماجه. ٢٠٠٩. *سنن ابن ماجه*. أبواب الطِّبّ. باب من تطبب ولم يعلم منه طب. ج. ٤: ٥١٩. رقم الحديث ٣٤٦٦. قال ابن كثير: "وإسناده جيد قوي". انظر: ابن كثير. ١٩٩٦. *إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه*. ج. ٢. ص. ٢٦٦.

[٦٤١] أبو داود. ٢٠٠٩. *سنن أبي داود*. كتاب الديات. باب فيمن تطبب بغير علم فأعنت. ج. ٦: ٦٤٣، ٦٤٤. رقم الحديث ٤٥٨٦، ٤٥٨٧. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود: "قال المنذري في "اختصار السنن": بعض الوفد مجهول، ولا يُعلم له صحبة أم لا؟ قلنا: لكنه بانضمامه إلى الحديث الذي قبله، مع ما حكاه غير واحد من الإجماع على مضمونه كما سلف بيانه، يتقوى أمره إن شاء الله". وانظر: المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي. ٢٠١٠. *مختصر سنن أبي داود*. تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق. الرياض: مكتبة المعارف. ج. ٣: ٢٤١. رقم الحديث ٤٥٨٥ (٤٤٢٠).

[٦٤٢] النسائي. ١٩٨٦. *سنن النسائي*. كتاب القسامة. باب صفة شبه العمد وعلى من دية الأجنة وشيه العمد. ج. ٨: ٥٢، ٥٣. رقم الحديث ٤٨٣٠، ٤٨٣١. صحّحه الحاكم. انظر: الحاكم. ١٩٩٠. *المستدرك على الصحيحين*. ج. ٤: ٢٣٦. رقم الحديث: ٧٤٨٤.

[٦٤٣] انظر: الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص١٠٤-١٠٩.

أوَّلًا: طبيب حاذق قام بالعمل، وأدَّى حقوق الصنعة، ولم تجن يده، أي أذن الشَّارع ومن يطب للقيام بهذا العمل، فأتلف عضوًا أو نفسًا، أو نحوها، فلا ضمان عليه.

ثانيًا: متطبّب جاهل قام بالعمل، وعلم المجني عليه أنه جاهل، وأذن، فتلف، فلا ضمان عليه، وإن ظن المجني عليه أنه طبيب، وأذن لظهور بعض المعارف الطبيَّة عنده، فتلف، فيجب الضَّمان عليه.

ثالثًا: طبيب حاذق مأذون للقيام بالعمل، وأدَّى حقوق الصنعة، ولكن أخطأت يده، فتلف، فيضمن لأنها جناية خطأ.

رابعًا: طبيب حاذق ماهر، واجتهد للمريض في وصف الدَّواء، فأخطأ، فتلف، فيضمن.

خامسًا: طبيب حاذق، وأدى حقوق الصَّنعة، فقطع سلعة من المريض بدون إذنه أو وليه، فتلف، فيضمن، وإن أذن لم يضمن.

والجدير بالذكر أنَّ الباحث لم يجد للدّكتور النَّسيمي في هذه القضيَّة رأياً، لسبب فقدان بعض صفحات كتابه، وهو من الأخطاء المطبعيَّة، ولذلك اكتفى الباحث بذكر آراء الآخرين من المعاصرين لهذه القضيَّة المهمَّة.

وإذا نظرنا في أقوال المعاصرين من العلماء، نجد أنهم ناقشوا الحديث بناءً على نقاش فقهي، حيث فرّقوا بين وجوب الضَّمان أو عدم وجوبه من خلال أحوال المريض والطَّبيب، مثل ما نصَّ عليه الشَّيخ محمَّد أبو زهرة الذي قسّم أحوال المريض والطَّبيب إلى أربعة أقسام[٦٤٤]، والتي من خلالها يمكن التعيين بين أن يضمن الطَّبيب أو المتطبب الذي تعاطى العلاج، أو لا يضمن. والذي يراه الباحث، إنَّ

[٦٤٤] الحاج أحمد. ٢٠٠٣. *موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة*. ص. ٥٨٣، ٥٨٤.

هذه الأقسام هي نفس الأقسام التي ذكرها ابن قيِّم الجوزيَّة سابقًا، ولا تختلف إلا في اختيار الكلمات وترتيبها فقط.

وبناءً على ما ذكره المتقدمون من العلماء، يبدو أنهم متفقون على وجوب الضَّمان لمن تعدَّى في أعمال طبيَّة، وسبّب التَّلف للمريض. قال الخطَّابي: "لا أعلم خلافاً في المعالج إذا تعدَّى فتلف المريض، كان ضامناً، والمتعاطي علماً أو عملاً لا يعرفه متعدي، فإذا تولَّد من فعله التَّلف، ضمن الدية، وسقط عنه القَوَد، لأنه لا يستبد بذلك دون إذن المريض، وجناية الطَّبيب في قول عامَّة الفقهاء على عاقلته"[٦٤٥]، وتتضح من هذا القول حالتان، أولاهما وجوب الدّية والقصاص على من عالج مريضًا بدون إذنه، فتلف، وثانيتهما وجوب الدّية فقط دون القصاص للمتعاطي للعمل الطِّبّي، وذلك لأنَّ إذن المريض في هذه الحالة يعد لازمًا، فلا قود بالإذن. والذي يراه الباحث أنَّ الحالة الثَّانية من قول الخطَّابي يمكن إدراجها ضمن القسم الثَّاني أو الثَّالث من الأقسام الخمسة التي وضعها ابن قيِّم الجوزيَّة، والله أعلم.

وبالإضافة إلى ذلك، يوجد في القانون المعاصر ما ينصُّ على وجوب التَّعويض (Compensation) للخطأ الطِّبّي (Medical malpractice)[٦٤٦]، رعايةً لسلامة المرضى من أي جنايات طبيَّة. قال الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني: "أما القانون المدني السُّوَري، فإنَّ المادَّة ١٦٤ منه تنص على أنَّ كلَّ خطأ سبّب ضررًا للغير يُلزم من ارتكبه بالتَّعويض؛ وأما الأستاذ التونجي فيقول: إنَّ

---

[٦٤٥] الخطَّابي. ١٩٣٢. *معالم السُّنَن*. ج. ٤. ص. ٣٩.

[٦٤٦] حنبلي، سيتي نائشة. ٢٠١٤. " A Review of Medical Malpractice Issues in Malaysia under Tort Litigation System". *Global Journal of Health Science*. ج. ٦. عدد (٤): يوليو. ص. ٧٦-٨١.

الطَّبيب المخطئ في التَّشخيص يُعدُّ مسؤولًا، لا سيما إذا كان الخطأ مما لا يقع فيه الطَّبيب المعتاد"[٦٤٧]. ويوجد أيضًا ما يسمى بـ "مدونة قواعد السُّلوك المنهي" (Code of Professional Conduct ٢٠١٩)، نشرها المجلس الطِّبّي الماليزي (Malaysian Medical Council)، كضوابط أخلاقيَّة أساسيَّة لمن قام بالعمل الطِّبّي، وانضم في شؤون المرضى والمعالجات[٦٤٨]. ويبدو أنَّ الطِّبّ الحديث **يؤكد ما أسّسه الحديث النَّبويّ** من هذا الجانب الذي يتعلَّق بأخلاقيَّات الطِّبّ.

المطلب الثَّاني: أثر تطوُّر علم الطِّبّ في حديث النَّهي عن التَّداوي بالمحرَّمات

روى أبو الدرداء أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا، **وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**"[٦٤٩].

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

ذكر ابن قيِّم الجوزيَّة الحديث في فصل "في هديه ﷺ في المنع من التَّداوي بالمحرمات"، وركّز على النَّهي الوارد في الحديث وحكمة نهي الرَّسُول ﷺ عن التَّداوي بالمحرمات غاية التَّركيز، حيث جرّد فصلاً مستقلاً في بيانه لهذه الأخلاقيَّة، لغرض توضيح أن لا نفع للمحرمات في التَّداوي قطّ، ومن أقواله: "وإنما حرَّم

---

[٦٤٧] الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبِّيَّة في الإسلام*. ص. ٦٩.

[٦٤٨] المجلس الطِّبّي الماليزي. ٢٠١٩. Code of Professional Conduct ٢٠١٩. كوالا لمبور: المجلس الطِّبّي الماليزي.

منظمة الصِّحيَّة العالميَّة. ٢٠٠٠. *WHO Report on Global Surveillance of Epidemic-prone Plague – Infectious Diseases* . جينيوا: منظمة الصِّحة العالميَّة. ص. ٢٥.

[٦٤٩] أبو داود. ٢٠٠٩. *سنن أبي داود*. كتاب الطِّبّ. باب في الأدوية المكروهة. ج. ٦: ٢٣. رقم الحديث ٣٨٧٤. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود: صحيح لغيره.

على هذه الأمَّة ما حرَّم لخبثه، وتحريمه له حمية لهم، وصيانة عن تناوله، فلا يناسب أن يطلب به الشِّفاء من الأسقام والعلل، فإنه وإن أثَّر في إزالتها، لكنَّه يعقب سقمًا أعظم منه في القلب بقوَّة الخبث الذي فيه، فيكون المداوى به قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب"[٦٥٠]. وقال: "وأيضًا فإنه يكسب الطَّبيعة والرُّوح صفة الخبث، لأنَّ الطَّبيعة تنفعل عن كيفيَّة الدَّواء انفعالًا بينًا، فإذا كانت كيفيته خبيثة، اكتسبت الطَّبيعة منه خبثًا فكيف إذا كان خبيثًا في ذاته، ولهذا حرَّم الله سبحانه على عباده الأغذية والأشربة والملابس الخبيثة، لما تكسب النَّفس من هيئة الخبث وصفته[٦٥١].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

خصّص الدّكتور النَّسيمي فصلاً مستقلاً سماه بـ "أحكام التَّداوي بالمحرمات"، وقام فيه ببيان الجانب الأخلاقي بالتفريق بين التَّداوي بالمحرمات غير المسكرة، والتَّداوي بتجرُّع المسكرات، ثم ناقشه مناقشة فقهيَّة بذكر اختلاف المذاهب والأقوال، وأدلتهم، ثم خلص إلى أنَّ المسكرات لا توجد فيها أي فوائد في المعالجة، وبالتالي لا حاجة للنَّاس إليها في التَّداوي مطلقًا. قال الدّكتور النَّسيمي: "هذا، وأذكر بأنَّ الطِّبّ الحديث في فروعه المختلفة أخذ في أواخر الأربعينات من القرن العشرين، بإبطال التَّداوي بتجرُّع المسكرات بعلَّة إنَّ فيها فوائد علاجيَّة حتى بطل نهائيًا في هذه السنين الأخيرة"[٦٥٢]. وختم المبحث بذكر بعض الأمثلة عن الاستعمالات المعاصرة لبعض المحرمات في الطِّبّ المعاصر للضَّرورة، مثل استعمال

---

[٦٥٠] الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ١١٩.

[٦٥١] المصدر نفسه. ص. ١١٩.

[٦٥٢] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص.٢٧٠ .

المخدرات كالمورفين لتسكين الألم الشَّديد، واستعمال بعض المعامل من الخنزير في صناعة الأنسولين لعلاج مرض السُّكري، ومعالجة بعض المرضى بنقل الدَّم، مع أنَّ الدم في أصله محرَّم، ونحوها[٦٥٣].

بناءً على ما ذكره المتقدمون من العلماء، وجد الباحث أنَّ بعضهم أكَّد أنَّ المحرَّمات تُستعمل في التَّداوي في أحوال الضَّرورة، وعدم وجود غيرها للعلاج من المواد المباحة. قال الخطَّابي في تعليقه على حديث عرينة المعروف: "... وفيه إباحة التَّداوي بالمحرم عند الضَّرورة، لأنَّ الأبوال كلها نجسة من مأكول اللحم وغير مأكوله"[٦٥٤]. وقال ابن رسلان: "... والصَّحيح من مذهبنا جواز التَّداوي بجميع النَّجاسات سوى المسكر، لحديث العرنيين في الصَّحيحين، وأن يشربوا من أبوالها للتَّداوي كما هو ظاهر الحديث، وحديث الباب: "لا تداووا بحرام" و"لم يجعل شفاء أمتي فيما حرَّم عليكم" محمول على عدم الحاجة بأن يكون هناك دواء غيره يغني عنه، ويقوم مقامه من الطَّاهرات. قال البيهقي: هذان الحديثان إن صحَّا محمولان على النَّهي عن التَّداوي بالمسكر، وعلى التَّداوي بالحرام من غير ضرورة، ليجمع بينهما، وبين حديث العرنيين"[٦٥٥].

أما المعاصرون من العلماء، فإنهم أيّدوا ما أكَّده الدّكتور النَّسيمي من أنَّ التَّداوي بالمحرَّمات لا يجوز إلا في الأحوال المضرَّة. قال الدّكتور السيد عبد الحكيم عبد الله: "والتَّداوي يكون بالمواد غير المحرَّم تناولها، فلا يجوز بالنَّجس الحرام، ويشمل ذلك كل المأكولات، والمواد المنهي عنها لضررها بالجسم، أو لإذهابها للعقل – من غير ضرورة –، وقد سبق أن أشرنا إلى أحاديث الرَّسُول ﷺ التي أشارت إلى ذلك

---

[٦٥٣] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٢٧، ٢٨.

[٦٥٤] الخطابي. ١٩٣٢. *معالم السُّنَن*. ج. ٣. ص. ٢٩٨.

[٦٥٥] ابن رسلان. ٢٠١٦. *شرح سنن أبي داود*. ج. ١٥. ص. ٥٨٢، ٥٨٣.

..."[٦٥٦]. قال الدّكتور حسن الفكي: "... ولهذا يبدو والله أعلم أنَّ القاعدَّة فيها – يعني الخبائث – حرمة التَّداوي بها كما يحرم تناولها لغير التَّداوي. أما إذا اضطر المسلم إليها، بعد التَّحقق من كونها دواء، فظاهر الأدلَّة الشرعيَّة جواز ذلك ..."، ثم وضع الشُّرُوط الثَّلاثة لترخيص التَّداوي بالحرام غير المسكر، وهي: تحقُّق الضَّرورة، والتأكد من كونه دواء، أو غلبة الظَّن بذلك، وعدم وجود البديل له من المواد المباحة[٦٥٧]. وقد أكَّدت عدَّة دارسات ما ذكره الدّكتور النَّسيمي فيما يتعلَّق بالاستعمالات المعاصرة للمحرمات في التَّداوي، وأضافت بعض أمثلة أخرى مثل ترقيع جلد الإنسان بجلد الحيوان النَّجس كالخنزير غالبًا المسمى بـ "الرقعة الدخيلة"، والذي يُستخدم لحماية المناطق التي أصيبت بالحروق خلال عدَّة أيام، قبل تبديلها بالرقعة الذَّاتية، وهي ترقيع الجلد من الشَّخص نفسه[٦٥٨].

ومن جانب آخر، يبدو في بعض الاكتشافات الحديثة ظهور بعض الأدوية المباحة الجديدة التي تحلُّ محلَّ الأدوية المحرَّمة المستعملة، بعد أن تثبت فاعلية هذه الأدوية المباحة في علاج مرض معين، وتغني عن الأدوية المحرَّمة. وعلى سبيل المثال، قد ثبت طبيًا أنَّ دواء "Arixtra"، وهو من الأدوية المباحة، يقدر على منع تجلُّط الدَّم (Blood clotting)، مما يساعد في تسهيل دوران الدَّم (Blood

---

[٦٥٦] عبد الله. ١٩٩٨. *إعجاز الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ١٥٧.

[٦٥٧] انظر: الفكي. ١٤٢٥. *أحكام الأدوية في الشَّريعة الإسلاميَّة*. ص. ١٨٧.

[٦٥٨] انظر: عمارة، خديجة غمام. ٢٠١٨. *قاعدَّة الضرورة تقدر بقدرها وتطبيقاتها في النوازل الطِّبيَّة المعاصرة – التَّداوي بالمحرمات أنموذجًا –* . الجزائر: جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي. ص. ٤٣-٤٩.

circulation)، بل إنَّ فاعليته تعدُّ مساوية لغيره من الأدوية المصنوعة من المواد المحرَّمة، والتي يشيع استعمالها في المعالجات، مثل دواء "Clexane"، و "Fraxiparine"[٦٥٩].

ويمكن تلخيص دور تطوُّر علم الطِّبّ في **إرشاد الطَّبيب المسلم للبحث عن المباحات من الأدوية كبديل للأدوية التي يشيع استعمالها، والتي صُنعت من المواد المحرَّمة**، حيث يظهر كما تقدَّم أنَّ معظم العلماء متفقون على جواز الانتفاع بالمحرمات في التَّداوي للضَّرورة، ومع ذلك، فإنَّ جهدهم مستمر للبحث عن بدائل لها من المواد المباحة، إجلالًا لنهي الرَّسُول ﷺ في التَّداوي بالمحرم، كما هو مذكور في الحديث.

المبحث الخامس: الآثار في محور قضايا معيَّنة ذات العلاقة بالطِّبّ

تقدَّم الحديث عن هذا المحور في المباحث الماضية، والذي يقصده الباحث هو القضايا الخاصَّة التي تساهم في مجال الطِّبّ المذكورة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، ولا تتعلَّق بالمحاور الأربعة الأخرى مباشرة، وهي تشمل عدَّة قضايا مهمَّة مثل علم الأجنَّة، والتَّشريح، والوراثة، وقد أشار الباحث سابقًا إلى بعض أحاديث الطِّبّ النَّبويّ التي تضمَّنت أجزاء من هذه العُلُوم الطِّبيَّة، وسوف يتناول الباحث في هذا المقام آثار تطوُّر علم الطِّبّ في كيفيَّة تناول العلماء لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ المتعلِّقة بهذه القضايا الطِّبيَّة المهمَّة.

---

[٦٥٩] إي أسماء وغيرها. ٢٠١٥. "Is Our Medicine Lawful (Halal)?". *Middle-East Journal of Scientific Research*. ج. ٢٣. عدد (٣). ص. ٣٧٠.

المطلب الأوَّل: أثر تطوُّر علم الطِّبّ في حديث تخلُّق الأجنَّة وتطوُّرها في بطون الأمهات

روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حديثًا، وقال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصَّادق المصدوق، قال: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ"[٦٦٠].

ومن خلال هذا الحديث، سوف يلخص الباحث المسألة بناءً على نقطتين:

أوَّلًا: أطوار تخلُّق الجنين.

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

لم يستطع الباحث الحصول على أقوال ابن قيِّم الجوزيَّة فيما يتعلَّق بهذا الحديث في كتابه "الطِّبّ النَّبويّ"، وبالتالي، لجأ الباحث إلى الاستعانة بكتابه الآخر، وهو: "تحفة المودود بأحكام المولود"، للكشف عن أقواله في تناوله لهذا الحديث. وقد خصّص ابن قيِّم الجوزيَّة باباً مستقلاً في بيانه لقضيَّة الحمل وتخلُّق الجنين، وسمى الباب بباب "في أطوار ابن آدم من وقت كونه نطفةً إلى استقراره في الجنَّة أو النَّار"، ثم بدأ كلامه بنقل كلام ابقراط (Hippocrates) قبل تفصيله لأطوار تخلُّق الجنين المفسرة في الأحاديث،

---

[٦٦٠] البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*.كتاب بدء الخلق. باب ذكر الملائكة. ج. ٤: ١١١. رقم الحديث ٣٢٠٨. ومسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب القدر. باب كيفيَّة خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته. ج. ٤: ٢٠٣٦. رقم الحديث ٢٦٤٣. والتِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. أبواب القدر. باب ما جاء إنَّ الأعمال بالخواتيم. ج. ٤: ٤٤٦. رقم الحديث ٢١٣٧. وابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند المكثرين من الصَّحابة. مسند عبد الله بن مسعود. ج. ٦: ١٢٥. رقم الحديث ٣٦٢٤. و ج. ٧: ١٦٩. رقم الحديث ٤٠٩١.

وتلخيصه لأوجه التَّعارض بين الأحاديث المتعلِّقة بها. ومن خلال نقله لأبقراط، وجد الباحث أنَّ أبقرط ذكر مدَّة إتمام تركيب الجنين في رأيه، وحدّد أنَّ الجنين إذا كان ذكرًا فتركيبه يتم إلى اثنين وثلاثين يومًا، وإلى اثنين وأربعين يومًا إذا كانت أنثى مستدلًا بمدَّة نقاء المرأة، لأنَّ المرأة في الغالب تنقى في اثنين وأربعين يومًا إن ولدت أنثى، وفي اثنين وثلاثين يومًا إذا ولدت ذكرًا.

وبعد ذلك يتعقَّب ابن قيِّم الجوزيَّة كلام أبقراط بذكر الرِّوايات المتعلِّقة بتخلُّق الجنين في بطون الأمهات التي رواها ابن مسعود وحذيفة بن أسيد، ولخَّص الباحث فهم ابن قيِّم الجوزيَّة من هذه الرِّوايات المتعددة أنَّ الجنين يتطوَّر في بطون الأمهات في أطوار ثلاثة، وهي طور النُّطفة في الأربعين الأولى، وطور العلقة في الأربعين الثَّانية، وطور المضغة في الأربعين الثَّالثة، وكان ابتداء تصوير الجنين وخلقه يحدث بعد الأربعين الأولى، ونفخ الرُّوح فيه بعد الأربعين الثَّالثة، وتقدير شأن المولود تقوم به الملائكة بعد استئذان ربها يحدث من خلال هذين الطورين[٦٦١].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

قسّم الدّكتور النَّسيمي أطوار تخلُّق الجنين كما ذكرتها النُّصُوص الإسلاميَّة، وهي طور النُّطفة، وطور العلقة، وطور المضغة، قبل أن يتم خلق الإنسان خلقاً آخر كما ورد في القُرآن. ولخص الدّكتور النَّسيمي بعض الفروق بين مصطلحات الإسلام ومصطلحات وضعها علم الأجنَّة تتعلَّق بهذه الأطوار. وقد وسّع الإسلام مفهوم النَّطفة، وهي تشمل معنى ماء الرجل، وكذلك تطلق على نتيجة الإلقاح حتى بداية طور

[٦٦١] الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر ابن قيِّم. د.ت. *تحفة المودود بأحكام المولود*. تحقيق: عثمان بن جمعة ضميرية. مكَّة المكرمة: دار عالم الفوائد. ص. ٣٦٦-٣٧٣.

العلقة. أما علم الأجنَّة، فإنه يطلق مصطلح النُّطفة على نطفة الرَّجل فقط (Sperm)، وما بعد ذلك من نتيجة الإلقاح، فإنه يسمى البيضة حتى بداية الفترة المضغيَّة.

وبالإضافة إلى ذلك، أكّد الدّكتور النَّسيمي انَّ علم الأجنَّة لم يستعمل مصطلح العلقة كما استعمله الإسلام، ولكن هذا الطَّور يشمل فترة بداية تشكُّل المشيمة، وكذلك بداية أخذ الجنين لشكله البشري، وتمتدُّ حتى ظهور الأعضاء التناسليَّة الخارجيَّة، ولكنها لا تميز بين أعضاء الذكر والأنثى. وبيّن الدّكتور النَّسيمي أيضًا أنَّ الجنين إذا أسقط خلال هذه الفترة، فإنه يخرج في شكل دم متجمِّد (علقة)، وبالتالي سمتها النُّصُوص القُرآنيَّة بها. وقد يكون أيضًا لسبب تعلُّق الجنين برحم أمه بواسطة المشيمة، ولذلك سمتها النُّصُوص باسم العلقة.

وعلاوة على ذلك، بيّن الدّكتور النَّسيمي أنَّ مصطلح المضغة في الإسلام يختلف عن المضغة في علم الأجنَّة، لأنَّ المضغة في الإسلام تمتدُّ من اليوم ٨١ إلى ١٢٠، خلافًا للمضغة في علم الأجنَّة، فإنها تبدأ من الأسبوع الرَّابع من التنامي، حتى نهاية الأسبوع السَّابع. ولخص الدّكتور النَّسيمي أنَّ الجنين في الفترة التي حدَّدها الإسلام كطور المضغة يبلغ طوله ١٦ سم للطُّول القمي العقبي، و١٠ سم للطُّول القمي الأليوي، وبالتالي سمته النُّصُوص الإسلاميَّة بالمضغة لأنه يساوي حجم قطعة من اللحم (مضغة). وقد ذكر الدّكتور النَّسيمي أيضًا أنَّ إرسال الملك يكون مرَّتين، فالأولى في الأسبوع السَّابع لغرض تصوير الجنين، والثَّانية بعد مرور ١٢٠ يومًا مرة أخرى لنفخ الرُّوح[٦٦٢].

[٦٦٢] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٣٢٨-٣٤٦.

بناءً على ما نصَّ عليه المتقدمون من العلماء، يجد الباحث أنهم لا يختلفون في أنَّ تقدير شأن المولود يكون بعد الأربعين الأولى من الأطوار الثَّلاثة، ونفخ الرُّوح يكون بعد الأربعين الثَّالثة. قال القاضي عياض: "ولم يختلف أنفخ الرُّوح فيه بعد مائة وعشرين يوماً، وذلك تمام أربعة أشهر ودخوله فى الخامس..."[٦٦٣]. قال النَّووي: "... ولكلام الملك وتصرفه أوقات، أحدها حين يخلقها الله تعالى نطفة، ثم ينقلها علقة، وهو أول علم الملك بأنه ولد، لأنه ليس كل نطفة تصير ولدًا، **وذلك عقب الأربعين الأولى، وحينئذ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته** ..."[٦٦٤]، وقال: "...واتفق العلماء على أنَّ نفخ الرُّوح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر ..."[٦٦٥].

أما ما يتعلَّق بتصوير الجنين وتخليقه، فيرى الباحث أنَّ ما ذهب إليه ابن قيِّم الجوزيَّة من أنَّ التَّصوير والتَّخليق يبدأ بعد الأربعين الأولى قد خالفه بعض المتقدِّمين من العلماء، الذين قالوا بأنَّ التَّصوير لا يكون إلا بعد طور الأربعين الثَّالثة. قال النَّووي: "... ثم للملك فيه تصرف آخر في وقت آخر، وهو تصويره، وخلق سمعه، وبصره وجلده، ولحمه، وعظمه، وكونه ذكراً أم أنثى، وذلك إنما يكون في الأربعين الثَّالثة، وهي مدَّة المضغة، وقبل انقضاء هذه الأربعين، وقبل نفخ الرُّوح فيه، لأنَّ نفخ الرُّوح لا يكون إلا بعد تمام صورته ..."[٦٦٦].

---

[٦٦٣] القاضي عياض. ١٩٩٨. *إكمال المعلم بفوائد مسلم*. ج. ٨. ص. ١٢٣، ١٢٤.

[٦٦٤] النووي. ١٣٩٢. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج*. ج. ١٦، ص. ١٩٠.

[٦٦٥] المصدر نفسه. ج. ١٦. ص. ١٩١.

[٦٦٦] النووي. ١٣٩٢. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج*. ج. ١٦. ص. ١٩٠، ١٩١.

وأما حديث ابن مسعود: "إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا ..."[٦٦٧]، فقد فسَّره القاضي عياض بقوله: "... فحمل هذا على ظاهره لا يصحّ؛ لأنه قد ذكر أنَّ ذلك ما يقضى الله فيه ما شاء ويكتب، فدلَّ أنه يوجد بعد، وإنما هو كتاب كما قال: 'ثم خرج الملك بالصحيفة فى يده؛ ولأنَّ التَّصوير بأثر النُّطفة وأول العلقة وفى الأربعين الثَّانية غير موجود ولا معهود، وإنما التَّصوير فى الأربعين الثَّالثة فى مدَّة المضغة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا﴾"[٦٦٨]، فإنَّ التَّصوير والتَّخليق في الحديث كما وضّحه القاضي عياض محمول على مجرَّد الكتاب للجنين، كيف صُوّر، وخُلّق، أما التَّصوير، والتَّخليق بذاتهما، فإنهما لا بد أن يكونا بعد طور الأربعين الثَّالثة.

وبالإضافة إلى ذلك، يظهر التَّوافق بين رأي الدّكتور النَّسيمي، وبين آراء غيره من العلماء المعاصرين، إذ يظهر أنَّ ما تناولوه هو محاولة الرَّبط بين نصوص علم الجنين المعاصر، وبين النُّصُوص الإسلاميَّة، ويبدو أيضًا أنهم يقسمون أطوار تخلُّق الجنين بناءً على تقسيم النُّصُوص الإسلاميَّة، للكشف عن الإعجاز الطِّبّي وراء هذه الأطوار، إلا إنَّ بحث الدّكتور النَّسيمي كما يراه الباحث يعدُّ من أوسع ما كُتب في هذا الباب، حيث جرَّد بحثاً كاملاً مستقلاً للحديث عنه بدقَّة وتفصيل. ولذلك أشار إليه الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني في كتابه، حيث قال: "... ومن أراد التَّفصيل – يعني في موضوع علم الأجنَّة

---

[٦٦٧] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب القدر. باب كيفيَّة خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته. ج. ٤: ٢٠٣٧. رقم الحديث ٣(٢٦٤٥).

[٦٦٨] القاضي عياض. ١٩٩٨. *إكمال المعلم بفوائد مسلم*. ج. ٨. ص. ١٢٧.

في الإسلام وعلم الأجنَّة – فليراجع بحث: (الإسلام وعلم الجنين) في الجزء الثَّالث من كتاب: (الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث) للدكتور محمود ناظم النَّسيمي ..."[٦٦٩]. والخلاصة أنَّ الطِّبّ المتطوِّر في هذا المقام يؤثر في **توسيع فهم معاني الحديث**، حيث يبدو في ما ناقشه المتقدمون من العلماء أنهم ركّزوا أبلغ التركيز على حل أوجه التَّعارض بين الأحاديث المتعلِّقة بتطوُّر الجنين في بطون الأمهات. أما المعاصرون من العلماء، فقد ظهر أنَّ تركيزهم لا يتوقف عند حدود التَّعارض بين الأحاديث، بل جاوزوا عنه، وركّزوا غاية التركيز على موضوع الرَّبط بين النُّصُوص الإسلاميَّة، ونصوص علم الجنين المعاصر، لإظهار أوجه الإعجاز المستخرجة من النُّصُوص الإسلاميَّة من القُرآن والأحاديث النبويَّة.

ثانيًا: مدَّة الحمل.

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

تناول ابن قيِّم الجوزيَّة في بداية الفصل ما يتعلَّق بمقدار زمان الحمل مستدلًا ببعض الآيات القُرآنيَّة وأقوال العلماء. وأكّد إنَّ آيتي: ﴿... **وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا**﴾، و ﴿... **وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾ تدلان على أنَّ مدَّة الحمل ستَّة أشهر. وأكّد أيضًا أنَّ مدَّة الحمل قد تكون أقل من تسعة أشهر، وأطول منها، بناءً على تفسير ابن عباس، ووافقه أصحابه لآية: ﴿**ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ**﴾.

وبالإضافة إلى ذلك، بيّن أيضًا في فصل مستقل أقصى مدَّة الحمل، بناءً على ما نصَّ عليه العلماء، ووضّح ستة أقوال في القضيَّة، أوَّلها من قال إنَّ أقصى المدة هي سنتان، وثانيها ثلاث سنين،

[٦٦٩] الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبِّيَّة في الإسلام*. ص. ٢٤.

وثالثها أربع سنين، ورابعها خمس سنين، وخامسها ست سنين وسبع سنين، وسادسها من قال بعدم جواز تحديدها بالرَّأي لعدم وجود الدَّليل من النُّصُوص فيها[٦٧٠].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

أما الدّكتور النَّسيمي، فإنه اكتفى ببيان أقل مدَّة الحمل، وأكّد أن كتب التَّوليد، وكذلك القانون قرَّرت ستة أشهر قمريَّة أو ١٨٠ يومًا كأقل مدَّة للحمل، وما وُلد قبل ذلك يعد إسقاطًا، ولا يقبل الجنين حينئذٍ البقاء حيًّا. ومن جانب آخر، فإنَّ تمام الولادة تكون بعد مدَّة تسعة أشهر أو ٢٧٠ يومًا، وما وُلد قبل ذلك يعدُّ خداجًا (Premature birth)، أو ولادة مبكرة، وإن الجنين في هذه الحالة يقبل البقاء حيًّا، ولكنه يحتاج إلى عناية طبيَّة خاصَّة.

وعلاوة على ذلك، أشار الدّكتور النَّسيمي أيضًا إلى سبق القُرآن في تحديد ستَّة أشهر بأقل مدَّة الحمل، وقد حدَّدها القُرآن من خلال الآيتين السَّابقتين اللتين ذكرهما ابن قيِّم الجوزيَّة آنفًا. ومع ذلك لا يتطرَّق الدّكتور النَّسيمي إلى الحديث عن أقصى مدَّة الحمل، كما بيّن ابن قيِّم الجوزيَّة سابقًا[٦٧١].

وإذا نظرنا في أقوال المتقدِّمين من العلماء، نجد إنَّ المناقشة حول مدَّة الحمل تعدُّ نقاشاً فقهياً، حيث يبدو أنها تُناقش ضمن الموضوعات الفقهيَّة كإلحاق الولد بأبيه مثلًا، وخلص الباحث إلى إنَّ المتقدِّمين من العلماء قاموا بتحديد أقل مدَّة الحمل للمرأة وأقصاها، واختلفوا في وضع أقصى مدَّة الحمل، ولكن اتفقوا على أقل مدَّته. قال ابن عبد البر: "وسنذكر اختلاف الفقهاء في مدَّة الحمل لأنهم اختلفوا

---

[٦٧٠] الجوزيَّة. د.ت. *تحفة المودود بأحكام المولود*. ص. ٣٧٨-٣٨٧.

[٦٧١] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٣٦٤.

في أكثرها ولم يختلفوا في أقلها أنه ستة أشهر ..."[٦٧٢]، وقال: "وقد أجمع علماء المسلمين بأنَّ الولد لا يلحق إلا في تمام ستة أشهر من يوم النِّكاح، فما زاد إلى أقصى مدَّة الحمل على اختلافهم فيها، فمالك يجعله خمس سنين، ومن أصحابه من يجعله إلى سبع سنين، والشَّافعي مدته عنده الغاية فيها أربعة سنين، والكوفيون يقولون سنتان لا غير، ومحمَّد بن عبد الحكم يقول سنة لا أكثر، وداود يقول تسعة أشهر لا يكون عنده حمل أكثر منها، وهذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد، والرَّد إلى ما عرف من أمر النِّساء وبالله التوفيق"[٦٧٣].

وبالإضافة إلى ذلك، وإن كان الدّكتور النَّسيمي لم يتحدَّث عن أقصى مدَّة الحمل، ولكن بالنَّظر في النقاش الطِّبّي المعاصر، يجد الباحث المصطلح المعاصر المسمى بـ "ولادة بعد النُّضج" (Postmature delivery/Post-term delivery)، ويعني الولادة التي تكون بعد استغراق الحمل بمدَّة اثنين وأربعين أسبوعًا أو أكثر[٦٧٤]، ولكن مع ذلك، لا يحدد الطِّبّ المعاصر أقصى مدَّة الحمل كما فعل العلماء المتقدمون – حسب اطلاع الباحث المتواضع –، وبالتالي، من الأفضل أن تركها للعرف كما نصَّ ابن عبد البر آنفًا، لعدم وجود الدليل فيها، سواء كان من النُّصُوص الإسلاميَّة، أو بيانات حدّدها الطِّبّ المعاصر.

---

[٦٧٢] ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. ٢٠٠٠. *الاستذكار*. تحقيق: سالم محمَّد عطا ومحمَّد علي معوض. بيروت: دار الكُتُب العلميَّة. ج. ١. ص. ٣٢٩.

[٦٧٣] المصدر نفسه. ج. ٧. ص. ١٧٠.

[٦٧٤] إيم جلال وآخرون. ٢٠١٢. " Postterm pregnancy". *National Center for Biotechnology Information*. ج. ٤. عدد (٣). ص. ١٧٥، ١٧٦.

ويستنتج الباحث هنا أنَّ تطوُّر علم الطِّبّ **يؤكد فهم العلماء للحديث**، حيث يظهر التوافق بين المتقدِّمين والمعاصرين من العلماء في تحديد أقل مدَّة الحمل بستة أشهر، وفي عدم تحديد أقصى مدَّة الحمل وتركها للعرف، بناءً على ما اختاره ابن عبد البرّ سابقًا، وغيره من العلماء، كما نصَّ ابن قيّم الجوزيَّة آنفًا.

المطلب الثَّاني: أثر تطوُّر علم الطِّبّ في حديث علو أحد الماءين وتحديد جنس المولود

الحديث الأوَّل: روى ثوبان مولى رسول الله ﷺ قصة سؤال اليهودي، وهو حديث طويل يتعلَّق بهذا الموضوع قوله: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قال الرَّسُول ﷺ: "مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ". قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ[٦٧٥].

الحديث الثَّاني: حَدَّثَتْ أُمَّ سُلَيْمٍ أَنَّهَا سَأَلَتْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ عَنِ الْمَرْأَةِ تَرَى فِي مَنَامِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا رَأَتْ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ فَلْتَغْتَسِلْ، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَتْ: وَهَلْ يَكُونُ هَذَا؟ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: نَعَمْ، فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبَهُ؟ إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ، فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلَا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ "[٦٧٦].

وسوف يتناول الباحث هذين الحديثين من خلال نقطتين:

---

[٦٧٥] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب الحيض. باب بيان صفة مني الرجل، والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما. ج. ١: ٢٥٢. رقم الحديث ٣٤(٣١٥).

[٦٧٦] المصدر نفسه. كتاب الحيض. باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها. ج. ١: ٢٥٠. رقم الحديث ٣٠(٣١١).

أوَّلًا: حقيقة ماء الرجل وماء المرأة.

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

نقل ابن قيِّم الجوزيَّة أقوال أبقراط، حيث قال: "قال بقراط في المقالة الثَّالثة من كتاب الأجنَّة أنا أحدثك رأيت المني ينشأ. كانت لامرأة من الأهل جارية نفيسة، ولم تكن تحب أن تحبل لئلا ينقص ثمنها، فسمعت الجارية النِّساء يقلن؛ إنَّ المرأة إذا أرادت أن تحمل لم يخرج منها مني الرجل، بل يبقى محتبسًا، ففهمت ذلك وجعلت ترصده من نفسها، فأحست في بعض الأوقات أنه لم يخرج منها، فبلغني الخبر، فأمرتها أن تطفر إلى خلفها، فطفرت سبع طفرات، فسقط منها المني بوجبة شبيهًا بالبيضة غير مطبوخة قد قشر عنها القشر الخارج، وبقيت رطوبتها في جوف الغشاء ... ثم قال: وأقول شيئًا آخر ظاهرًا يعرفه كلّ من يرغب في العلم وأوضحه بقياسات، وأقول إنَّ المني هو في الحجاب، وإنه يغتذي من الدم الذي يجتمع من المرأة وينزل إلى الرحم"[٦٧٧].

والذي يراه الباحث، أنَّ المني الذي ذكره أبقراط لا يعني ماء الرجل أو ماء المرأة، ولكن الذي قصده أبقراط هو البيضة، وهي الماءان بعد أن يُركّبا، وذلك لأنَّ أبقراط وصف المني هنا بشكل بيضة غير مطبوخة، ووصفه أيضًا بأن له حجاباً، واغتذى من دم المرأة، وبالتالي أنسب المفاهيم له هنا هي البيضة، وهي عبارة عن نتيجة الماءين عند بداية تركيبهما. وبالإضافة إلى ذلك، لا يجد الباحث بيان ابن قيِّم الجوزيَّة لما يتعلَّق بحقيقة ماء الرجل وماء المرأة بالتَّفصيل، ولكنه بيّنه باختصار، حيث قال: "ثم لما كان ماء الرجل ينحدر من أجزاء الجسد رقيقًا ضعيفًا لا يخلق منه الولد، جعل له الأنثيان وعاء يطبخ فيهما ... ولم

---

[٦٧٧] الجوزيَّة. د.ت. *تحفة المودود بأحكام المولود*. ص. ٣٥٨، ٣٥٩.

تحتج المرأة إلى ذلك؛ لأنَّ رقة مائها ولطافته إذا مازج غلظ ماء الرجل وشدته قوي به واستحكم ..."[٦٧٨]، والذي يراه الباحث إنَّ مستند قوله ما بيّنه الحديث نفسه، حيث قال ﷺ: "إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ..."[٦٧٩]، والله أعلم.

رأي الدّكتور النَّسيمي:

بدأ الدّكتور النَّسيمي بالحديث عن حقيقة نطفة الرجل بذكر بعض الآيات القُرآنيَّة المتعلِّقة بها، ثم بيّن معاني كلماتها من النَّاحية اللغويَّة، قبل الحديث عن بعض أوصاف نطفة الرجل في الطِّبّ الحديث. ومن أوصاف نطفة الرَّجل التي ذكرها الدّكتور النَّسيمي الآتي[٦٨٠]:

١. الماء المدفوق الذي ذكره القُرآن هو نطفة الرجل لأنه يدفق في مهبل المرأة في المناسبة الجنسيَّة، ثم يتحرك سريعًا ويدخل جوف الرحم، وإلى داخل البوق أو النفير (Fallopian tube) لتلقيح بيضة الأنثى.

٢. تستغرق نطفة الرَّجل ساعة تقريبًا للوصول إلى موقع الإلقاح، ولكنها تمتص إلى النفير بعد خمس دقائق فقط بسبب تقلصات الرَّحم والنفيرين أثناء رعشة المرأة الجنسيَّة (Orgasm).

---

[٦٧٨] الجوزيَّة، محمَّد ابن قيِّم. ١٤٣٢. *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*. تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد. مكَّة المكرمة: دار عالم الفوائد. ج. ٢. ص. ٧٣٩.

[٦٧٩] تقدم تخريجه.

[٦٨٠] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٣٢٣-٣٢٥.

٣. الحويصلان المنويان (Seminal vesicles) والقناة الدَّافقة (Ejaculatory duct) تقع بين العمود العجزي العصعصي (قسم من الصلب) ومنشأ الطرفين السفليين (أحد معاني الترائب) التي تساهم في عملية إنتاج نطفة الرجل، ولسبب ذلك بيّن القُرآن إنَّ نطفة الرجل تخرج بين الصُّلب والترائب.

وعلاوة على ذلك، بيّن الدّكتور النَّسيمي حقيقة ماء المرأة، وأنه راجع إلى أمرين مختلفين، ولا يتعلَّق أحدهما بالآخر، وهما[٦٨١]:

١. ماء المرأة راجع إلى ما يتعلَّق بحادثة الإلقاح، حيث تكون بيضة المرأة أصلًا في الجريب المبيضي (Ovarian follicle)، ومعها فيه السَّائل الجريبي (Follicular fluid)، وإذا كانت بيضة المرأة معدَّة للإلقاح، ينبثق هذا الجريب، وتخرج بيضة المرأة وينصب السَّائل الجريبي معها، ثم يشوب هذا السَّائل أثر دم زهيد، وإن هذا السَّائل كما أكّده الدّكتور النَّسيمي هو الذي بيّنه الرَّسُول ﷺ في حديث: "وَمَاءِ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ..."[٦٨٢]:

٢. قد يكون ماء المرأة راجعاً إلى السَّائل الخارج عند الرعشة الجنسيَّة، وهو يتشكَّل لازدياد مفرزات المهبل في المناسبة الجنسيَّة بعد أن يرتشح بالتهيج الجنسي.

وإذا تتبعنا أقوال المتقدِّمين في حقيقة ماء الرجل وماء المرأة، نجد أنَّ معظمهم لم يتطرَّقُوا إلى الحديث عنها، لوضوح ذكر وصف عام لهذين الماءين في حديث: "إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ

---

[٦٨١] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٣٢٧، ٣٢٨.

[٦٨٢] تقدم تخريجه.

أَصْفَرُ..."[٦٨٣]، كما تقدَّم ذكره. ومع ذلك يجد الباحث علماء مثل النَّووي بيّنوا وصف الرَّسُول ﷺ في الحديث السَّابق بيانًا حسنًا. قال النَّووي: "قال العلماء: مني الرجل في حال الصِّحَّة أبيض ثخين، يتدفَّق في خروجه دفقة بعد دفقة، ويخرج بشهوة ويتلذذ بخروجه، وإذا خرج استعقب خروجه فتورًا ورائحة كرائحة طلع النَّخل، ورائحة الطَّلع قريبة من رائحة العجين، وقيل: تشبه رائحته رائحة الفصيل، وقيل: إذا يبس كان رائحته كرائحة البول، فهذه صفاته وقد يفارقه بعضها مع بقاء ما يستقل بكونه منيًّا، وذلك بأن يمرض فيصير منيه رقيقًا أصفر، أو يسترخي وعاء المني فيسيل من غير التذاذ وشهوة، أو يستكثر من الجماع فيحمر ويصير كماء اللحم وربما خرج دمًا غبيطًا ..."[٦٨٤]، وقد حدّد النَّووي في توصيف ماء الرَّجل أموراً أربعة، وهي: لونه وشكله في أحوال مختلفة، وخروجه بالشَّهوة مع الفتور عقبه، ورائحته في أحوال مختلفة، وطبيعة خروجه حيث يخرج دفقة دفقة.

أما ماء المرأة فقد بيّنه النَّووي بقوله: "وأما مني المرأة فهو أصفر رقيق، وقد يبيض لفضل قوتها، وله خاصيتان يعرف بواحدة منهما، إحداهما أنَّ رائحته كرائحة مني الرجل، والثَّانية التَّلذذ بخروجه وفتور شهوتها عقب خروجه"[٦٨٥]، وقد استوعب النَّووي في هذا القول أموراً ثلاثة، وهي: لون ماء المرأة باختلاف الأحوال، ولونه، وبيان أنَّ خروجه لشهوة، مع فتور بعد خروجه.

ويمكن تلخيص هذا النقاش بإنَّ تطوُّر علم الطِّبّ يؤثر في **توسيع فهم معاني الحديث**، حيث يظهر أنَّ الطِّبّ الحديث بيّن حقيقة ماء الرجل وماء المرأة بيانًا واسعًا ومفصّلًا، بينما اكتفى الطِّبّ القديم بما هو

---

[٦٨٣] تقدم تخريجه.

[٦٨٤] النووي. ١٣٩٢. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج*. ج. ٣. ص. ٢٢٢.

[٦٨٥] المصدر نفسه. ج. ٣. ص. ٢٢٣.

مذكور في الحديث من أوصاف وأشكال، وعلى سبيل المثال لم يبيّن معظم المتقدِّمين من العلماء عن حقيقة ماء المرأة إلا بما هو مبيّن في الحديث الذي يوضِّح أنه رقيق، ولونه أصفر، وقد زاد النَّووي عدَّة أوصاف أخرى له كما تقدَّم، فضلًا عن ما ورد في الحديث، ويُفهم أنَّ الذي أراده النَّووي من ماء المرأة هو ماء الرعشة الجنسيَّة للمرأة، ولكن بالنظر في ما بيّنه الدّكتور النَّسيمي سابقًا، يبدو أنَّ ماء المرأة الوارد في الحديث قد يراد به ماء الرعشة الجنسيَّة، أو السَّائل الجريبي الذي يندلق مع خروج بيضة المرأة المعدَّة للإلقاح.

ثانيًا: شبه الأولاد ومجانستها.

رأي ابن قيِّم الجوزيَّة:

بيّن ابن قيِّم الجوزيَّة هذه القضيَّة في فصل سماه بـ"في سبب الشَّبه للأبوين أو أحدهما وسبب الإذكار والإيناث وهل لهما علامة وقت الحمل أم لا"، ثم بيّن أنَّ الأحاديث المتعلِّقة بهذه القضيَّة تتضمن أمرين مهمين، أوَّلهما: أنَّ الجنين يخلق من ماء الرجل وماء المرأة، وهو بذلك ردّ لقول الطِّبّائعيين الذين زعموا أنَّ الجنين يخلق من ماء الرجل فقط، مستدلًا بقول الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٦٨٦]. ثانيها: لخص ابن قيِّم الجوزيَّة فهمه للأحاديث بأنَّ السبق

[٦٨٦] القرآن. الطارق ٨٦: ٥-٧

لأحد المائين يعدُّ سببًا لشبه السَّابق ماؤه، وعلو أحدهما يعد سببًا لمجانسة الولد للعالي ماؤه، فالسَّبق يحدد الشَّبه، والعلو يحدد جنس الجنين في نظر ابن قيِّم الجوزيَّة[٦٨٧].

رأي الدّكتور النَّسيمي:

أما الدّكتور النَّسيمي، فإنه لم يفرّق بين العلو والسَّبق، وأكّد أنَّ نطفة الأب هي التي تحدد جنس الجنين، حيث تنقسم صبغيَّة الإنسان إلى الصبغيَّة الجسديَّة، وعددها (٢٢) شفعًا للذكر أو الأنثى، والصبغيَّة الجنسيَّة، التي ترمز (XY) للذكر، و (XX) للأنثى، وبالتالي ترمز الصبغيَّة للذكر (٤٤، XY)، وللأنثى (٤٤، XX). وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ الصبغي X أو Y يحدد جنس الجنين، وهو يحمل في نطفة الرجل، ولذلك إن سبقت نطفة تحمل الصبغي Y ، كان الجنين ذكرًا، وإذا سبقت التي تحمل الصبغي X، كان الجنين أنثى. وختم الدّكتور النَّسيمي نقاشه ببيان كيفيَّة فهم علو الماءين المذكور في الأحاديث بقوله: "ويمكن البيان بأسلوب آخر، إذا علت النُّطفة الحاملة لصبغي التَّذكير في سبقها على غيرها من النطف، واستأثرت بالإلقاح، فالبيضة الملقحة ستنتج بتناميها جنينًا مذكرًا، إما إذا علت النُّطفة الحاملة لصبغي التأنيث X في سبقها على غيرها من النطف، فالبيضة الملقحة بها ستنتج بتناميها جنينًا مؤنثًا"[٦٨٨].

وبالنظر في أقوال المتقدِّمين من العلماء، نرى أنهم لا يختلفون في أنَّ الجنين يخلق من اندماج ماء الرجل وماء المرأة كما ذكر ابن قيِّم الجوزيَّة سابقًا. قال النَّووي: "... إنَّ الولد متولد من ماء الرجل وماء

---

[٦٨٧] الجوزيَّة. د.ت. *تحفة المودود بأحكام المولود*. ص. ٣٩٠-٤٠٠.

[٦٨٨] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص.٣٤٩-٣٤٧ .

المرأة فأيهما غلب كان الشبه له ..."[٦٨٩]، ولكن الإشكال هو التفريق الذي ذكره ابن قيّم الجوزيَّة بين السَّبق والعلو، لأنَّ المتقدِّمين لم يميّزوا بين هذين المصطلحين، وأطلقوا عليهما معنى واحداً. قال القاضي عياض: "... ومعنى الغلبة والعلو فى قوله: "فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ"[٦٩٠]، وفى الرِّواية الأخرى: "غَلَبَ"، وهذا يرجع إلى سبق الماء والشَّهوة، كما جاء فى الحديث الآخر: "سَبَقَ"، وجاء فى غير مسلم: "يَسْبِقُ إِلَى الرَّحِمِ"، أو تكون الغلبة والعلو هنا عائدة إلى الكثرة والقوة من أحد المائين ..."[٦٩١]، وقال القرطبي: "... والذي يتعين تأويله: العلو الذي في حديث ثوبان، فيقال: إنَّ ذلك العلو معناه: سبق الماء إلى الرحم والذكورة. ووجهه: إنَّ العلو لما كان معناه الغلبة، كما فسرناه، وكان السَّابق عاليًا في ابتدائه بالخروج قيل عليه: علا، ويؤيد هذا التَّأويل أنه قد روي في غير كتاب مسلم: إذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا، وإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ أَنَّثَا"[٦٩٢]، وقال النَّووي: "قوله ﷺ: "فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلَا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ"[٦٩٣]، وفي الرِّواية الأخرى " إِذَا عَلَا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ وَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا"[٦٩٤]، قال قال العلماء يجوز أن يكون المراد بالعلو هنا السبق، ويجوز إنَّ يكون المراد الكثرة والقوة بحسب كثرة الشهوة ..."[٦٩٥].

---

[٦٨٩] النووي. ١٩٧٢. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج*. ج. ٣. ص. ٢٢٢.

[٦٩٠] تقدم تخريجه.

[٦٩١] القاضي عياض. ١٩٩٨. *إكمال المعلم بفوائد مسلم*. ص. ١٥٠.

[٦٩٢] القرطبي. ١٩٩٦. *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. ج. ١. ص. ٥٧١.

[٦٩٣] تقدم تخريجه.

[٦٩٤] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند النساء. مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها. ج. ٤١: ١٥٦. رقم الحديث ٢٤٦١٠. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: حديث صحيح.

[٦٩٥] النَّووي. ١٩٧٢. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج*. ج. ٣. ص. ٢٢٢.

أما المعاصرون من العلماء، فقد وجد الباحث توافقاً بين ما ذكره الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني، وبين ما بيّنه الدّكتور النَّسيمي سابقًا، حيث ذكر نفس الكيفيَّة التي ذكرها الدّكتور النَّسيمي لفهم علو الماءين المذكور في الأحاديث. قال الدّكتور عبد الرَّزَّاق الكيلاني: "... فإذا علا حوين يحمل الصبغي المذكر Y أقرانه وتقدمهم صاعدًا، حتى وصل إلى البييضة – في الثُّلُث الوحشي من البوق – ولقحها، كان الجنين ذكرًا بإذن الله تعالى ... وأما إذا وصل إلى البييضة حوين يحمل الصبغي المؤنث X قبل غيره ولقحها ... فإنَّ البييضة يعلو كعبها في هذه الحالة وتقوى عزيمتها ... فيكون بإذن الله تعالى، وبذلك يعلو ماء المرأة، وتفرض بييضتها على الجنين جنسها"[٦٩٦].

والخلاصة إنَّ تطوُّر علم الطِّبّ يؤثر في **تجديد فهم الحديث**، ويتوضح ذلك من خلال اختلافهم في كيفيَّة تناولهم للحديث، إذ يبدو أنَّ المتقدّمين من شُرَّاح الحديث لم يميزوا بين السَّبق والعلو المذكورين في الحديث، وأطلقوهما بمعنى واحد، ولكن فرّق بعدهم ابن قيّم الجوزيَّة بينهما، وأكّد أنَّ السَّبق يتعلَّق بشبه الجنين لأحد أبويه، والعلو يتعلَّق بجنس الجنين في كونه ذكرًا أو أنثى، ومع تطوُّر علم الطِّبّ لخَّص المعاصرون مفهوم العلو في الحديث أنه المسؤول عن جنس الجنين، إذ له علاقة بوظيفة الصبغيَّات أو الكروموسومات، كما مرَّ سابقًا.

[٦٩٦] الكيلاني. ١٩٩٦. *الحقائق الطِّبِّيَّة في الإسلام*. ص.٣٧ .

خُلاصة الفصل:

بناءً على ما ناقشه الباحث في المباحث السَّابقة، يمكن استنتاج أنَّ تطوُّر علم الطِّبّ في معظم الأحوال يترك تأثيراً في كيفيَّة تناول العلماء لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ، بصرف النَّظر عن محاورها. وبالإضافة إلى ذلك، يمكن القول أيضًا إنَّ تطوُّر علم الطِّبّ في معظم الأحيان يؤثر في تأكيد وتوسيع فهم أو معاني أحاديث الطِّبّ النَّبويّ. ومن جانب آخر، ثمَّة جزء يسير من أحاديث الطِّبّ النَّبويّ لا يتأثر بتطوُّر علم الطِّبّ، خاصَّة فيما يتعلَّق بالأمراض الرُّوحانية، كمرض العين، فإنه يعدَّ مما لا يتدخل فيه الطِّبّ الحديث، وهو من أهم الإشارات التي تشير إلى أنَّ الطِّبّ النَّبويّ أوسع محاورًا من الطِّبّ الحديث.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية